



الحركة الصهيونية في فرنسا

منذ دريفوس حتى الوقت الحاضر

شاكر نوري

الطبعة الاولى بغداد ـ ١٩٨٦ .


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



١٩٨٦





طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان
العراق ـ بغداد اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الأهداء ...

الى أمينة ...

التي لولاها لما ولد هذا الكتاب .

« إن للصهيونية مصلحة حيوية في ابقــاء اليهود الذين يعيشــون خارج إســـرائيـــل يشعــرون بشكــل دائم بــالأضــطهــاد لان انــدمــاجهم مــع مجتمعــات اخــرى ســيــظل امــرا مستحيلا . »

كرايسكي



المقدمـــة

رغم ان الوثائق التاريخية تشير الى تواجد اليهود في فرنسا منذ القرن الرابع الّا ان بحثنا الحالي سيتناول بالتحديد الفترة التاريخية (١٨٩٤ ـ ١٩٨٤) أي منذ بدء قضية دريفوس الشهيرة ، التي استوحى منهـا مؤسس الصهيـونية ، تيودور هيرتزل ، بعد مرور ثلاثة اعوام لمؤلفه « الدولة اليهودية » ، الذي رسخ دعائم النظرية الصهيونية .

خلال تسعين عاما ظهرت أولى بوادر الصهيونية ، وترعرت في كنف المجتمع الفرنسي ، وشكلت فيما بعد ، منظمـاتها وصحـافتها ، ومـؤسساتهـا الماليـة ، وعلاقاتها مع الاحزاب والحكومات مستفيدة من كل ما يمنحه النظام الرأسمالي الفرنسي من دعم ومساندة . ان تتبع النشاط الصهيوني في فـرنسا منـذ قضية دريفوس حتى الوقت الحاضر ، لمهمة صعبة للغـاية لان الحـركة الصهيـونية ، تشكلت وتكـونت من خلال الاحـداث المتعاقبـة . النشاط الصهيـوني ، متعدد الجوانب والميادين ، فقد تخلل عبر المنظمات ، والاحزاب ، والصحافة ، والكتب ، والاعمال الادبية والفنية . بطبيعة الحال ، ومن الخطورة الكبيرة ان نصم كل ما هو يهودي بالصهيونية ، سواء على صعيد الفكر او التنظيم او الممارسة .. يمكننا القول ، انها وجدت ارضا خصبة للترويج عن افكارها ، وخصوصا بين الجالية اليهودية ، حيث وجدت كل مقومات العمل السياسي ـ الفكري . وامتد اخطبوط الصهيونية الى مناحٍ متعددة اخرى ، ولم يقتصر نشاطها على الجالية اليهودية ، بل امتد الى المفكرين ورجال الساسة والشخصيات الفرنسيـة التي لاتنتمي الى الديانة اليهودية . وكان لابد للصهيونية من ان تؤثر على جميع منـاحي الحياة السياسية الفرنسية ، بـل وفي احيان كثيـرة تعمل عـلى توجيههـا في الكواليس الخلفية . ولعل تغلغلها في مجالي الصحافة والرأسمال لايمكن اغفاله بأي شكل من ألاشكال .

لابد من الاشارة الى ان الفترة التي ندرسها تتميز بخصوصية معينة ، منذ

عام ١٨٩٤ ، وقعت احداث خطيرة اثرت على الحركة الصهيونية سلبا او ايجابا منها : قضية دريفوس ١٨٩٤ ، الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، اعلان وعد بلفور ١٩١٧ ، ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ١٩١٧ ، الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، اعلان الدولة الصهيونية ١٩٤٨ ، استقلال بلدان المغرب العربي ١٩٥٦ ـ ١٩٦٢ ، حرب حزيران ١٩٦٧ ، حرب تشرين ١٩٧٣ ، الاجتياح الاسرائيلي للبنان ومذابح صبرا وشاتيلا ١٩٨٢ .

لم نكن نستهدف ، في عرضنا للحركة الصهيونية ، كتابة التاريخ بل حاولنا ان نراعي التسلسل التاريخي لمنطق الاحداث ، وكان من الطبيعي ان ندرس اوضاع الجالية اليهودية التي ترعرعت من خلالها هذه الحركة . وحاولنا قدر الامكان بحث عناصر تشكيل الحركة الصهيونية في فرنسا ضمن السياق العام للنظرية الصهيونية ، ومن خلال عشرين فصلا ، طرحنا التساؤلات التالية :

- هل هناك امة يهودية لحركة تحرر وطني عالمية لليهود ؟
- هل يحل تركيز اليهود في ارض فلسطين المسألة اليهودية ؟
- هل معاداة السامية خالدة ام قابلة للزوال ؟
- هل تتماثل المفاهيم الثلاثة ، اليهودي ، اسرائيل ، الصهيونية ؟

من خلال تحديد سمات الحركة الصهيونية في فرنسا ، يمكننا ان نعثر على هذه العناصر عبر التطورات التي طرأت على الجالية اليهودية . رغم ان الدعاية الصهيونية تسعى الى اخفاء هذه الموضوعة او تلك والاستعاضة عن موضوعة اخرى مناقضة او مغايرة . في كل فصل من فصول الكتاب ، حاولنا جاهدين ان نكتشف هذه العناصر الاربعة ـ اسس الصهيونية ـ من خلال الاحداث الواقعية ، وتشابكاتها بالتطور التاريخي للحركة الصهيونية منذ بداية قضية دريفوس وحتى الوقت الحاضر .

لابد من الاشارة الى اننا افردنا فصلا عن المعارضين للصهيونية من المفكرين اليهود الفرنسيين لكي يدرك القارىء أن الصهيونية ليست الفكر المطلق

لليهود من ناحية كما تدعي هي ، ومن ناحية اخرى آننـا لسنا متعصبـين ضد الصـهيونية دون موضوعية علمية . كما ان اولئك المفكرين يضيفون عناصر جديدة الى مسألةتفنيد ونقد النظرية الصـهيونية بشكل يساعدنا على فهم هذه النظريـة المبنية على عنصرية ـ استعلائية ـ استعمارية ، هدفها التـوسع والقضـاء على كياننا العربي ـ الاسلامي .

اما مايخص مصادر البحث ، فأننا بطبيعة الحال ، التجأنا الى المصـادر الفرنسية ، بكل تياراتها واتجاهاتها الايديولوجية ، لكننا لم نضع الهوامش لاننا ندرك بأن هذا الاسلوب المتبع اكاديميا ، انما يضيع على القارىء فرصة التتبع المستمر ، لذا من الممكن ان يعود القارىء الى البيبلو غرافيـا المخصصة لهـذا الغرض .. كما ان طغيان الفكر الصـهيوني على معظم المصادر زاد في صعـوبة البحث والتفكير اذ شعرنا منذ البداية بأننا نطأ ارضا ملغومة ، لكن كان لابد من اقتحام هذه المغامرة ، والسير بين الالغام ، بمزيد من التأني والتأمل والحذر .

ان الاسباب التي دفعتنا الى تأليف هذا الكتاب تعود اولا : الى ان الجالية اليهودية الفرنسية تشكل اكبر جالية يهودية في اوربا وثالث جالية في العالم بعد جالية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، يبلغ عددها مـابين الـ ٦٠٠ الف والـ ١٠٠ الف نسمة . ثانيا : تتمتع المنظمات الصـهيونية بنفوذ مؤثر واسع في الغرب مما يشكل خطرا كبيرا على السياسة الفرنسية خاصة اذا مـاعرفنـا ان لفرنسا علاقات سياسية واقتصادية وثقافية واسعة مع العرب . فالهدف من وضع هذا الكتاب القاء الضوء على مجمل الحركة الصـهيونية في فرنسا ، بكل تشعباتها وتنظيماتها وصحافتها وخصائصها الفكرية ، وكذلك دورهـا في الترويـج للكيان الصـهيوني ومساندته .

كما قلنا ان هذا البحث لم يكن سـهل المراس ذلك لان معظم ماينشر من كتب ومقالات ونصوص يتسم بالنبرة الصـهيونية ـ الدعائية السائدة . ولانستغرب ان نرى مفكري اوربا يتخذون مواقف ازاء الصـهيونية تتميز بـ « العنجهية » التي

تؤثر بدورها على الفكر الغربي . كما ينبغي الا تنسى أن اوربا وامريكا تنظران الى « اسرائيل » على انها نموذج حضاري غربي نقل الى الشرق ، ينبغي حمايته والحفاظ عليه ..

ومما يؤسف له حقا أننا بقينا طيلة مائة عام ، نحتفظ بموقف سلبي ازاء النشاط الفكري ـ الصهيوني ، وذلك اما بتجاهله او بمنعه او بأتخاذ موقف الصمت منه . وقد ادى ذلك الى احتلال الصهيونية مواقع كبيرة ومؤثرة في الرأي العام العالمي . وهذا الاسلوب لاينفع ، بطبيعة الحال ، معركتنا الفكرية ضد الصهيونية . فالطريق الامثل ، بلا شك هو مواجهة هذه الايديولوجية والكشف عن زيفها وكذبها واسلوب عملها ، خاصة وقد اضحت هذه الايديولوجية كالاخطبوط الذي يمتد ويتغلغل في الغرب .

ان الحركة الصهيونية في فرنسا التي لجأت الى مختلف الوسائل الدعائية والادبية والفنية والسياسية ، وتغلغلت في شتى الميادين ، لابد من ان نواجهها مواجهة علمية على مستوى الدراسة والبحث والاكتشاف كما ينبغي ان اشير الى انني كنت اؤمن منذ البدء بصعوبة هذا البحث واتساعه ، وادركت ايضا ان الكتابة الكاملة والمفصلة عن الحركة الصهيونية في فرنسا ، لاتفوق الطاقة الفردية فحسب وانما تفوق طاقات القارىء غير المتخصص. ان هذه الحركة العالمية التي تضمنت آلاف الصفحات من المنشورات ومئات المؤتمرات والتنظيمات والتجمعات ، ومئات الصحف والمجلات .. لا ابالغ اذا قلت ان كل فقرة من فقرات كتابنا هذا يمكن ان يتطور على شكل كتاب مستقل وذلك لاتساع الموضوع وتشعباته المحلية والعالمية وارتباطاته بالحركة الصهيونية العالمية . لكنني اثرت ان اركز من خلال هذا الكتاب على المحاور الرئيسية التي تطورت من خلالها الحركة الصهيونية في فرنسا .

شاكر نوري

باريس ١٩٨٤



الفصل الاول

بنية الحركة الصهيونية وتركيبها الأجتماعي - التنظيمي

- ١ -

تركيب الجالية اليهودية الاجتماعي

تتكون الجالية اليهودية من ٦٦٠ الف نسمة حسب الاحصائيات الرسمية الّا ان عددهم الحقيقي يصل الى عدة اضعاف هذا الرقم وهي منتشرة على جميع الاراضي الفرنسية . واليهودي حسب التعريفات الشائعة فهو الشخص الذي يولد من ام يهودية او يعتنق اليهودية طبقا لشروط التنظيم اليهودي المعروف بأسم تجمع الكهنة . Consistoire

وبالرغم من الدراسات والتحقيقات العديدة ، مايزال تركيب الجالية اليهودية الفرنسية الاجتماعي غير واضح المعالم . على اية حال ، تتميز الجالية اليهودية بتنوعها الاجتماعي اذ تجمع بين الاستقراطيين كروتشيلد على سبيل المثال ، والبرجوازية الكبيرة والطبقة العاملة .. واضافة الى ذلك ، هناك فئات الفقراء المعدمين . واغلب الطبقة العاملة جاؤوا من اوربا الوسطى وكانت لديهم مؤسسة تسمى بـ « اليد العاملة المهاجرة » Maind' oeuvre immige'e غير ان هذه « البروليتاريا » الاوربية الاصل قد تلاشت لتندمج بصفوف البرجوازية الصغيرة والمتوسطة .. واصبح افراد البروليتاريا اليهودية الحالية من اصل مغربي .

في السابق ، كانت طبقة العمال اليدويين Artisans والتجار Commercants هي الاغلبية غير ان افراد هاتين الطبقتين أخذوا بالتناقص . وهذه الاعمال تتركز بصفة خاصة في مهنة بيع الاقشمة والازياء والملابس في احياء مثل « لي سانتيه » و « ري دي تامبل » .. وبمجيء اليوغسلاف والباكستانيين والاتراك الى فرنسا لم تعد الطبقة العاملة تتكون من الجالية اليهودية . كما ان ارتفاع نسبة التعليم في صفوف الجالية ادى الى ارتفاع عدد الاشخاص الذين يمارسون مهنا ليبرالية « حرة » .. اضافة الى ازدياد عدد الكوادر اليهودية في مختلف المجالات . وتشير احصائيات عديدة الى ان ما يقرب من ربع حجم الجالية اليهودية قد انجزوا دراساتهم العليا . ونحصي عددا كبيرا من المحامين والاطباء والصيادلة والكوادر

العليا وخصوصا في ميادين البنوك والمصارف وشركات التأمين والاشغال العامة كما يلاحظ ارتفاع نسبة ذوي المهن الصغيرة والموظفين بسبب وصول اليهود من شمال افريقيا الى فرنسا . ومن الميادين التي تزداد اهمية بشكل ملموس ، شركات التأمين والبنوك التي تبلغ نسبتها مايقارب الـ ٥٠٪ والخدمات الادارية العاملة تبلغ نسبتها ٢٠٪ اما في مجال العروض الفنية فيزداد عددهم كما في ميدان النشر والصحافة . وتنتشر الخدمات الادارية العامة التي يشغلها اليهود في العاصمة . وما يعادل ربع اليهود الساكنين في الضواحي الباريسية هم من الموظفين .. وهذا الميدان يتضمن ، بطبيعة الحال ، عددا كبيرا من المهن تتراوح بين الموظف البسيط والاستاذ الجامعي او الباحث في « المركز الوطني للابحاث العلمية » C . N . R . S الى اعمال السخرة . اما في ميدان الزراعة فيكاد وجود اليهود منعدما . ويلاحظ تراجع التجار والعمال اليدويين المستقلين امام الكواردر المتوسطة والموظفين والكوادر العليا والمهن الحرة . ومن بين العاملين اليهود الفعليين ، تتقاضى نسبة ثلاثة ارباع منهم الرواتب . والحقيقة ، ان اليهود متغلغلون في جميع مجالات الحياة الاقتصادية .

على صعيد تقسيم الجالية اليهودية الجغرافي يلاحظ تلاشي الاحياء اليهودية التقليدية مثل « شتيتل » Shtetl او « ملاح » Mallah ففي هذه الاحياء كان اليهود يتجمعون حال وصولهم الى فرنسا . ولعل من ساهم في اختفاء الاحياء اليهودية التدريجي يهود اوربا الوسطى منذ نهاية الخمسينات فقد غادروا هذه الاحياء بسبب تحسن اوضاعهم المعيشية كما غادر اليهود العرب احياءهم المعروفة مثل « بيل فيل » Belleville و « سان بول » Saint Paul وفوبور مونتمارت Faubourv Montmartre واتجهوا الى الضواحي الباريسية مثل « سارسيل » Sarcelles و « كريتيّ » Cre'teil .

وقد ادى تجديد تركيب العاصمة الفرنسية المدني الى انتقال يهود احياء الدائرة الرابعة والثالثة عشرة والعشرين الى الضواحي الباريسية النائية . وهناك

ظاهرة اخرى وهي مغادرة الشباب اليهودي الضواحي والتوجه الى داخل باريس ، ومن المحتمل ان يؤدي ذلك الى اعادة تكوين هذه الاحياء وعودة الاتصال بمركز اليهودية . ولهذا السبب اصبحت احياء الدائرة الرابعة والحادية عشرة والعشرين اماكن تجمع الشباب اليهود في باريس . واما اليهود المغاربة والجزائريون فأن مغادرتهم الاحياء التقليدية يعتبر نوعا من الصعود الاجتماعي يعوض انقطاعهم عن الجذور .

ان ظاهرة انتشار الجالية اليهودية وعدم تمركزها في اماكن محددة ، يؤدي الى انعكاسات عميقة على تصرفاتهم وسلوكهم في المستقبل . كما يؤدي ارتفاع نسبة اليهود ذوي المراتب المحددة الى اختفاء بعض انواع المهن او تحديدها الى طبقات اجتماعية مهنية . كانت لدى التجار مواقع معينة في منظمات الجالية وعلى الخصوص حركة « الانبعاث اليهودي » Renouveau Juif و « المنظمة الدفاعية اليهودية » Organisation Juive de Defence و « فيدرالية يهود فرنسا » Féderation des Juifs de france ويرى المراقبون أن ارتفاع عدد اليهود في الوظائف العامة ادت الى انحلال العلاقات بين افراد الجالية بالرغم من ظهور فئة الموظفين الكبار الذين يحاولون التوفيق بين وظائفهم وانتماءاتهم الاخرى . فالانتقال المستمر بين المناطق الخالية من التركيبة الدينية ـ اليهودية يفرض على الموظفين التزامات اخرى تبعدهم عن الاندماج بالجالية .

اما بالنسبة ليهود المغرب العربي فيمارسون المهن التي كانوا يمارسونها في بلدانهم الاصلية كالوظائف الادارية المتواضعة . ويعتبر ابعادهم عن المراكز اليهودية الرئيسية عاملا في انفصالهم عن الديانة اليهودية Déjudaisation ويختلف الامر فيما يخص الاشخاص الذين ينتمون الى مهن التدريس الثانوي والجامعي ويتولد عند هؤلاء اتجاه واضح للاندماج في المجتمع الفرنسي الذي اصبح محيطهم الطبيعي .

ثمة عدد كبير من المدرسين اليهود العاملين في المؤسسات التعليمية العلمانية

ممايؤدي الى انفصالهم عن جاليتهم الاصلية وكثيرا مايجهلون ماضيها وثقافتها وتقاليدها . ومهما اختلفت ميادين العمل فأن تبلور ظاهرة ذوي المرتبات المحدودة ، سيقلل بلا شك ، من انتمائهم للجالية اذ يصبح من الصعوبة توحيد انماط الحياة والقيم الثقافية .

من بين الجالية اليهودية يمكننا ان نميز بين ثلاثة اصول مختلفة .

اولاً : اليهود الاصليين القاطنين في فرنسا منذ قرون ، وخاصة القرون الوسطى البعيدة .

ثانياً : اليهود المنحدرين من اوربا الوسطى والشرقية الذين جاؤوا وسكنوا فرنسا منذ عام ١٨٨١ .

ثالثاً : اليهود الشرقيين الآتين من حوض البحر الابيض المتوسط واغلبهم من يهود المغرب .

لكن اهمية اليهود المحليين اخذت بالتناقص في القرنين التاسع عشر والعشرين نتيجة لعاملين اساسيين هما مسألة الاندماج Assimilation والهجرة Immigration . وقد تركز هذا الانحلال في الجالية اليهودية القاطنة في المحافظات الفرنسية ، وعلى الخصوص في الجنوب الشرقي مثل مدينة افنيون وكومتا فينسين وجماعات اليهود البرتغاليين في الجنوب الغربي مثل بوردو وبايون . ولم يبق من اولئك سوى القليل اذ ان اغلبهم انخرط في الدين المسيحي . ولهذه المجموعات ينتمي اشخاص مثل رونيه كاسان الحائز على جائزة نوبل للسلام وداريوس ميلو ، وارمون لونيل ، وبيير ماندس فرانس ، وربما تختفي هذه المجموعات خلال السنوات المقبلة بسبب اختفاء ميزتهم الدينية المعينة . اما اقوى واقدم نواة فهي الجالية القاطنة في منطقة «الالزاس واللورين» فقد انتجت افرادا اشتهروا خصوصا

في ميدان السياسة مثل ليون بلوم ، وسيمون في ، ودانييل ماير ، وجول موش ، وبيير دريفيس . ولهذه الجالية تأثير قوي على بعض المنظمات . اما المجموعة الثانية ، المنحدره من اصل اوربي « اشكنا » Ashkénaze فمكونة من يهود اوربا الوسطى والشرقية . وكانت هذه المجموعة تشكل الاغلبية الساحقة داخل اليهودية الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية ، وتقدر بثلثي الجالية ومن هذه المجموعة ، برز عدد كبير من الشخصيات الهامة مثل جان ـ بيير ميلفيل ، اندريه كلوكسمان ، ماريك هالتر ، وكلارا مالرو ، وليونيل ستريلو ، واندريه كراسوكي ، رئيس النقابة العمالية C. G. T الشهيرة وروبرت بادنتير (وزير العدل حاليا) وشارل فيترمان (وزير النقل حاليا) .

في الوقت الحاضر ، اصبحت الاغلبية الساحقة من الجالية اليهودية مكونة من اليهود الشرقيين Sephardim الذين ينتمي معظمهم الى بلدان المغرب العربي . وهناك احصائيات تشير الى ان عددهم يبلغ مايقارب الـ ٣٠٠ الف نسمة ، وربما اضعاف هذا العدد . تتميز هذه المجموعة بتعلقها الشديد بالتقاليد اليهودية ، وتسعى على الدوام الى احياء الجالية من جديد بكل طقوسها وعاداتها . ويلاحظ ان ٨٠٪ منهم من اصل غير فرنسي ما يفسر الفروق الشاسعة التي تميز بين افراد الجالية اليهودية حسب انتماءاتهم واصولهم . الا ان معظم اليهود القاطنين في فرنسا يتمتعون بالجنسية الفرنسية . اما اليهود الجزائريون فأنهم كانوا يمتلكون جوازات سفر فرنسية منذ زمن الاستعمار . واليهود المغاربة والتونسيون ؛ فضلوا الحصول على الجنسية الفرنسية على اعقاب استقلال بلدانهم . كما تم تجنيس يهود اوربا الوسطى بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يبق من اليهود المغاربة والتونسيين الا عدد قليل ممن احتفظ بجنسيته الاصلية . وربما تختفي العناصر الاجنبية في السنوات القادمة بسبب عملية التزاوج المختلط مع الفرنسيين .

اما في الماضي ، فقد كان اليهود يسكنون في مقاطعات ومستعمرات ذات وضع تمثيلي ـ سياسي مختلف اذ لم يكونوا يمتلكون الجنسية الفرنسية . لذا لم

يقدروا آنذاك على لعب دور سياسي يذكر . وكان اليهود الفرنسيون يترددون على الدوام في لعب دور سياسي ما عدا المنتمين الى المنظمات الصهيونية . ان عملية التجنيس ارعبت الصهيونية وذلك لخوفها من مسألة الاندماج في المجتمع الفرنسي في نهاية المطاف ، ولايمكننا بأي شكل من الاشكال تحديد السمات المشتركة في الجالية اليهودية ، وخاصة على صعيد الطبقات الاجتماعية ، ذلك لانها تتكون من خليط غير متجانس الاصول والتقاليد .. لكن الغالبية العظمى تتكون من الجالية الفرنسية الاصل ، ويأتي بالدرجة الثانية اليهود الجزائريون ؛ والدرجة الثالثة يهود المغرب وتونس ؛ ثم يهود اوربا الشرقية .. وبعض اليهود المنحدرين من الدول الاخرى وعلى الخصوص من مصر والبحر الابيض المتوسط . وليس هنا اي رابط يجمع بين اليهود الفرنسيي الاصل ويهود الاقليات الاخرى . وتبقى الفوارق الطبقية هي الحاسمة في تركيب الجالية الاجتماعي .

اما توزيع الجالية اليهودية فيتمركز في العاصمة اذ يبلغ عددهم مايقرب من ٣٥٥ الف نسمة ، ويتوزع البقية على « منطقة الميدي » اذ يبلغ عددهم ١٥٠ الف نسمة ، ورون الب ، والمناطق الاخرى . نلاحظ ان اكثر من نصف الجالية اليهودية تعيش في باريس وخاصة في الاحياء المعروفة : بيل فيل ، لي ماريه ، سان بول ، فوبروغ مونتمارتر ، لي سانتييه . وتلاحظ النشاطات التجارية وطقوسها في هذه الاحياء بشكل واسع نتيجة لتمركز الجالية ، اما في الاحياء الباريسية الاخرى ، فنراها شبه منعدمة . ونسبة اليهود في الاحياء الباريسية العشرين يبلغ مايقرب ١٠٪ من نسبة السكان . ونسبة العاملين في حقل التجارة يبلغ اكثر من نصف الجالية .. تأتي بعدها الكوادر الكبيرة والمتوسطة في الوظائف العامة ؛ ومن ثم المهن الحرة الاخرى واقل نسبة تعمل في الاشغال البسيطة كالعمال والمستخدمين . فالمنظمات الصهيونية التي تحدثنا عنها سابقا مثل « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » تعمل على تنظيم الاعمال المتنوعة للجالية اليهودية ..



الأتجاهات السياسية للجالية اليهودية

بالرغم من سيادة الاتجاه الايديولوجي الصهيوني بين الاوساط اليهودية في فرنسا الا أن بعض الاتجاهات والتيارات الاخرى تنتشر في الوقت ذاته ومبدأ التعددية هذا يساعد افراد هذه الجالية في عملية التكييف الذاتي مع تقاليد المجتمع الفرنسي المحيط . ومهما كان حجم الاختلافات والتناقضات السائدة فأنها تصب في موضوعات مشتركة وهي : التناقض مع المجتمع الفرنسي ، التضامن مع الكيان الصهيوني - فيما عدا بعض الحالات الشاذة - والتضامن مع الجاليات اليهودية « المضطهدة » والتركيز على « عقدة الذنب » كلما لاحظوا انعطافا ايجابيا في الرأي العام العالمي ازاء الصراع العربي - الصهيوني . ويمكن تصنيف هذه الاتجاهات في ثلاثة :

اولاً : الاتجاه الديني Les Pratiquants

ثانياً : الاتجاه الصهيوني Les Sionistes

ثالثا : اتجاه « الدياسبورا » Les diasporistes

١ - تعرضت اليهودية الفرنسية شأنها شأن الديانات الاخرى الى تأثيرات العلمنة التي انتابت المجتمعات الغربية ، ومن العوامل التي ساعدت في ترسيخ وتطوير هذه الظاهرة تلاشي استقلالية الجالية اليهودية ، وتفتت الاحياء اليهودية وحتمية الاندماج في المجتمع المحيط .

ويمكن اعتبار ان نسبة ٥٪ من هذه الجالية ماتزال متمسكة تمسكاً شديداً بالتقاليد الدينية اليهودية وينعكس اثر هذا التمسك بالتقاليد على تصرفاتهم الاجتماعية جاعلا منهم مجموعة منفصلة تمام الانفصال عن المجتمع الفرنسي .

ولاتختلف حياتهم في فرنسا عن الحياة التي كانوا يعيشونها في بلدان المغرب

العربي او في دول اوربا الوسطى مما يجعل تزمتهم وانكماشهم على انفسهم ظاهرة ملموسة . ومن هذه المجموعة ، اشتهر وجهان رئيسان هما اندريه نهير Andre Neher وايمانيويل ليفيناس Emmanuel Levinas كما تتميز اليهودية الفرنسية بظهور التعصب الديني المتزمت، وان هذه الميلول تَلَقى تشجيعاً كبيراً لدى المنظمات الصهيونية مثل منظّمة« تجمع الكهنة «Consistoire. ويدل على ذلك انتشار بعض الظواهر مثل لبس الطاقية الصغيرة فوق الرؤوس وكانت هذه الظاهرة عديمة الوجود منذ مايقرب العشرين عاما . كما بدأوا بتحريم بعض الامور التي كانت محللة في الماضي . وقد التجأوا الى حذف كل العناصر المقتبسة من المسيحية . ويحظى هذا التعصب بتسامح المجتمع الفرنسي لانه يعبر في نظر الفرنسيين عن تأكيد الذات اليهودية والدليل على ذلك ، تزايد اهمية حركة «الحاسديم ـ لوبافيتش » Hassidim de Loubavitch المتعصبة ومع ذلك فأن هذه الحركة تكاد تكون الوحيدة التي تناهض الصهيونية لاعتقادها بعدم خلق « اسرائيل » بالمعنى الحالي في التوراة قبل ظهور « المسيح » و« يوم القيامة » . وتؤمن هذه الجماعة بالطاقات السحرية والخرافية . ويلاحظ اتجاه افراد الجالية اليهودية ـ الفرنسية الاصل الى الانتماء الى هذه الحركة . وتظل هذه المجموعة اقلية داخل الجالية اليهودية بسبب مواقفها ضد « اوربة » اليهود والاهمية التي تعطيها الى طقوس وتقاليد يهود شمال افريقيا . وهذا يشكل تناقضا حادا مع عقلية الجالية اليهودية ذات الاصل الفرنسي اذ ان التناقضات بين تربية اليهود وتقاليدهم على اختلاف اصولهم لا يجعل منهم امة كما تحاول الصهيونية ان تروج على الدوام فتصطدم بالعقليات المختلفة الجذور .

والاتجاه الثاني يتمثل في اتجاه الصهيونية الايديولوجي الواضح للعيان سواء في اهدافه او سلوكه ويمثل هذا الاتجاه الاغلبية الساحقة في الجالية اليهودية الفرنسية . ولم يكن للحركة الصهيونية نفوذ بالغ الاهمية قبل عام

١٩٤٨ م اي قبل تأسيس الكيان الصهيوني . غير ان تأسيس هذه الدويلة ونتائج احداث الحرب العالمية الثانية ادت الى تغيير ملموس في مواقف اليهود الفـرنسيين ازاء الحـركـة الصهيـونيـة . وهكـذا ظهـر مبـدأ الولاء الى « اسرائيل » قبل اي ولاء اخر . ومما رسخ هذه الظاهرة حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ م ونتائجها . ورغم توفر كل الحقوق المـدنية والقـانونيـة للجالية اليهودية ، الا انها تشعر بأنها « منفية » على الارض الفرنسية . وحاولت عدة حركات كحركة « لجنة تنسيق الطلبة الصهاينة الاشتراكيين » Cless . comite de liaiscn des Etudiants sioniste socialistes ان تـطور ايديـولوجيـة متطرفة تؤكد على السمة المؤقتة للوجـود اليهودي في فـرنسا ونـادت هذه الحركات بالهجرة الى الكيان الصهيوني معتبرة اياها علاجـا لازالة عزلة الكيان الصهيوني في الساحة الدولية . ويروج هذا الاتجاه بأنه يعمل على « اعادة احترام اليهود لليهود » و « ارجاع كرامتهم » . ويلقى الاتجـاه الصهيوني حماسا كبيرا لدى الشبان اليهود وذلك بسبب ترويج الدعايات الملفقة ، وخاصة ترسيخ « اسرائيل » في الوعي اليهودي المعـاصر . كما يعتبر الكيان الصهيوني لديهم كالرابط الوحيد الذي يربط بين يهود العالم اجمع . في نظرهم هي الدولة التي « ارجعت » كرامة اليهـود ووفرت لهم ملجأ في حالة « عودة الاضطهاد » . ومن الملاحظ ان اكثر اليهود تشبثا وتعلقـا بالافكـار الصهيونيـة في فرنسـا هم اليهود العـرب الاصل وعـلى الخصوص يهود المغـرب العربي . واغلبيـة اليهود الفـرنسيين يـرون في تأسيس الكيان الصهيوني معجزة عـظيمة جعلت منـه مكانـا « للازدهار والتطور » . يقول هنري هاجنبرغ ، رئيس منظمة « الانبعاث اليهودي » ان هدف هذه المنظمة يتركز في نقل تراث الشعب اليهودي التاريخي والثقافي بأعطاء هذا النقل ابعادا سياسية اذ تعمد الى مساندة الكيان الصهيوني الذي ترى فيه المركز لليهودية العـالمية وتبلور حـركة مـايسمى بالتحـرر

اليهودي . ويعتبر هذا الاتجاه الكيان الصهيوني العامل الموحد بين اليهود ، اضافة الى انه عامل تأكيد على الفروقات التي يدعون وجودها بينهم وبين الفرنسيين . ولهذا فأن اي نقد يوجه الى الكيان الصهيوني او « حكومته » يثير احتجاجا سرعان ماينادي اليهود بشعار « معاداة السامية » و « العنصرية » .

٣ ـ اما اتجاه « الدياسبوريين » فيمثل اتجاه الاقلية بين الجالية اليهودية ؛ اذ كان يتمتع بأهمية كبيرة في اوائل القرن الحالي .

وكان هذا الاتجاه منقسما الى تيارين : التيار الاشتراكي والتيار الليبرالي الذي اسسه المؤرخ سيمون دوبنوف الذي كان ينادي بالاعتراف بجنسية يهودية داخل المجتمعات الاخرى . ولكن هذا الاتجاه لم يدم طويلا ، وخاصة في اعقاب الحرب العالمية الثانية . وينفي هذا الاتجاه صبغة الصهيونية عنه اذ ينادي مناصروه بضرورة انتشار اليهود في العالم . وهذا ينطوي بلا شك ، على مخاطر ايديولوجية عديدة ويعتبر هذا الاتجاه تواجد اليهود في العالم لم يأت عن طريق الصدفة بل انه ظاهرة دائمة استطاعت ان تحيا وتعيش وترسخ رموزها وحياتها المتميزة رغم العنف الذي يهدف الى تدميرها او ازالتها ويدين افراد هذه المجموعة سيطرة الصهاينة على الجاليات اليهودية في اوربا الغربية غير انهم يلحون على ضرورة مساعدة الكيان الصهيوني ، وفي الوقت ذاته يرفضون فكرة الهجرة الى الارض المحتلة مما يشكل تناقضا صارخا في ايديولوجية اتجاه « الدياسبوريين » . ويعتبر هذا التيار حلا وسطياً بين التيار الاندماجي والنمط الصهيوني الكلاسيكي . كما أن هناك عند بعض اليهود العرب الاصل ، ردود فعل تجعلهم ينتمون الى الاتجاه « الدياسبوري » . ورد الفعل هذا نتيجة حتمية لما يعاني منه اليهود الشرقيون في الارض المحتلة . ويرفض « الدياسبوريون » كافة اشكال الانضمام سواء تحت الاستعمار الفرنسي او « الدولة اليهودية » .

وينتمي الى هذا الاتجاه عدد من الفنانين اليهود امثال سيرج مواتي ، البرت ينسوسون ، بولا جاك وكلود خياط واخرون .. وهناك مجموعات اخرى تنتمي الى هذا الاتجاه لكنها تعمل بمفردها ومنها مجموعة « الهوية والحوار » Identite et Dialogue التي تعمل على تجميع الافراد الضائعين ! وتأخذ هذه المجموعة دورا معينا في ما يطلقون عليه « الحوار الاسرائيلي ـ العربي » وخاصة عن طريق المغاربة اليهود الذين وصلوا الى فرنسا والنشاط السياسي لهذا التيار يعتبر شكلا من اشكال الاغتراب بالنسبة للحركة الصهيونية . ويعتبر ارنولد ماندل هذا التيار بـ « النزق السيكولوجي » وذلك للروح الابوية التي يعود بها هذا التيار الى الماضي والتراث وهذا « النزق السيكولوجي » في نظر الاتجاهات الاخرى لايتضمن مشروعا شموليا . ويرتكز هذا الاتجاه من الناحية الفكرية على مصير اليهود ويشكل احدى دعائم اليهودية الفرنسية المعاصرة في الوقت الحاضر .

تعتبر الجالية اليهودية الفرنسية اول واهم جالية يهودية في اوربا الغربية من حيث عدد الافراد غير انها لاتشكل كتلة متماسكة بل ينتابها عدد لايحصى من التيارات المتنازعة والمتناقضة . واصبحت هذه التعددية pluralisme شرطا اوليا لديمومة اليهودية اذ يأتي كل فرد بافكاره السياسية والدينية مما يجعل كل افراد الجالية يرتبطون بعضهم بالبعض الاخر . وينتمي الى الجالية اليهودية الفرنسية افراد يطالبون ويؤكدون على هويتهم وتقاليدهم وكل منهم يحمل مفهومه الخاص عن ذلك . وهذه التعددية تسمح بجمع شخصيات مختلفة الاتجاهات مثل جاك اتالي ، مستشار الرئيس ميتران ، وغي دي روتشيلد ، تاجر وسياسي ، وروبر بادنيتر ، وزير العدل ، وهنري اجنبرغ ، رئيس منظمة « الانبعاث اليهودي » ، والمؤرخ بيير فيدال ناكي ، المعروف بمواقفه المعادية للصهيونية « السياسية » ، والمفكر الشهير مكسيم رودنسون ، المعروف بمواقفه المناصرة للقضية الفلسطينية والمعادية للصهيونية . غير ان مبدأ « التعددية » يصبح مرفوضا في حالة عدم

احترام التقاليد اليهودية . اي ان مختلف الاتجاهات ترتكز على اجماع داخلي للمكونات التي تعتمد عليها اليهودية وبالتالي الصهيونية . وترفض مجموعة قليلة مبدأ التعددية وترى في الكيان الصهيوني العامل الوحيد لترسيخ التقاليد اليهودية والمحافظة عليها . وهؤلاء يحتجون احتجاجا بدائيا كلما عبر احد عن اراء معادية لسياسة الكيان الصهيوني . اما مجموعة اخرى فيشكلها افراد يعتبرون ان اليهودية شكل من اشكال « التهميش » والانشقاق اللاسياسي . ولا يرون في الانتماء الى الصهيونية خيارا شرعيا بل خيانة لليهودية . وقد ادى تأسيس الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ الى تحويل مركز اليهودية الى منطقة الشرق ، واعتقد اغلبية اليهود ان اليهودية لن تحيا سوى في اطار « دولة يهودية » Etat Juif قائمة . ومنذ هذا التاريخ لم يتردد احد افراد الجالية ـ ماعدا بعض الاستثناءات ـ عن تأكيد هويته اليهودية ، وتعلقه بالكيان المزيف .

وهناك مجموعة اخرى تمثل التيار الاكثر مساندة وتأييدا للافكار والايديولوجيا الصهيونية ، يشكلها يهود شمال افريقيا (المغرب العربي) . ويبقى مفهوم اليهودية في فرنسا حسب ادعاءات الصهاينة مفهوما معتدلا ينص على انتماء الجالية الى المجتمع الفرنسي ، وسنرى فيما بعد انها مجرد ادعاءات .

وتركز الاتجاهات الصهيونية المتعددة على اظهار حالة الطلاق المتخيلة بين اليهود وفرنسا ؛ لذلك تركز على اعمال « فيشي » Vichy ضد اليهود ابان الحرب العالمية الثانية . ويكمن وراء هذه الدعوات اهداف معينة ومحدودة وهي تشجيع الهجرة الى الكيان الصهيوني ومما يثبط عزائمهم أن الهجرة من فرنسا ماتزال ضئيلة .. وهذا يفشل جزءا من مخططاتهم . وهناك اتجاهات سياسية بضرورة رفض كل شيء يعطى لليهود على اساس كونهم امة بل يصرون على معاملتهم كأفراد . والّا يتخذ اليهود شكل قوة سياسية وانما كمواطنين اعتياديين شأنهم شأن غيرهم من الناس سواء اكانوا مسيحيين ام مسلمين . وحتى عام ١٩٦٧ م ، كانت هذه الاتجاهات ، ماعدا قلة متطرفة منها ، اعلنت عن برامجها الفكرية التي

تؤكد على ان اليهود الذين ، يعيشون في فرنسا لايمكنهم الا ان يكونوا فرنسيين لانهم يمتلكون تاريخا ، وادبا ، وتقاليد مشتركة شأنهم شأن بقية الفرنسيين . ولكن هذه الاتجاهات السليمة تغيرت فيما بعد ، وعلى الخصوص بعد عام ١٩٦٧ م وازاء ضغوطات المنظمات الصهيونية على الجالية اليهودية ... التي بدأت ترفع شعارات : الانبعاث اليهودي ، والامة اليهودية ، وتفوق هوية اليهود القومية .

ويعتبر اليهود انفسهم الان مجموعة شعوب مشتتة بل كمجموعة تسعى الى الدفاع عن ذاتها الخاصة وتطالب باعتراف الدولة بهذه الخصوصية وعندئذ تصبح علاقة اليهودي بفرنسا لافردية بل جماعية تتميز بعودة ظهور الجوانب الوطنية في اليهودية . وتتجلى هذه الجوانب في الايديولوجيا الصهيونية بالدرجة الاولى ، وهو التيار السائد بين الجالية اليهودية ؛ كما تسعى اليهودية الفرنسية الى تغيير شكل ومضمون علاقتها مع فرنسا وتؤكد اكثر على السمات الجماعية للذات اليهودية . وعلى اية حال ، فالنقطة المشتركة التي تجمع بين عناصر الجالية اليهودية هي دعم وجود الكيان الصهيوني ، وان لم يكن هذا الدعم مطلقافي ما يخص الشكل الحالي لهذا الكيان غير ان هذا الدعم يتفق عليه جميع اليهود في الدفاع عن اسرائيل ، على الاقل ، ضمن حدودها قبل عام ١٩٦٧ م .

والى سنة ١٩٦٧ م ، لم تبد اليهودية الفرنسية حماسا بالغا ازاء الصهيونية كما هو الحال في الوقت الحاضر . وكشفت حرب حزيران عن اهمية الكيان الصهيوني لا في الوعي اليهودي فحسب وانما في طريقة معاملة اليهود في مختلف المجتمعات . واصبح منذ ذلك الحين ، باستطاعة اليهود ان يؤكدوا على ذاتهم اليهودية من خلال تضامنها مع الكيان الصهيوني . كما ان النكسة التي تعرضت لها الجيوش العربية خلقت عند الشخص اليهودي مشاعر التفوق والعنصرية . ان كل العناصر المكونة للجالية اليهودية تعترف بدويلة « اسرائيل » وحقها في الوجود سواء على شكلها الحالي او في « الاوساط التقدمية » كما قلنا

بحدودها في عام ١٩٦٧ م . وهناك حالات استثنائية جدا تدين تأسيس « اسرائيل » .. مثل موقف ايلان هاليفي ، المتعاطف مع منظمة التحرير الفلسطينية والكاهن ليفين .

وثمة نقطة اخرى يتفق عليها اليهود قاطبة هي اعتبار نفسها مسؤولة مسؤولية مباشرة عن الحفاظ على ذكرى « الاضطهادات » السابقة التي ينبغي الا تنسى والا تغفر . مما يؤدي الى ميول عند اليهود عرب الاصل ، نحو ربط تاريخهم بماضي وتاريخ يهود اوربا . بينما من المعروف ، ان اليهود عرب الاصل الذين عاشوا في البلدان العربية لم يعانوا مثل ما عانوه في البلدان الاوربية . واخذت الاجيال الشابة اليهودية تحتفل بالذكريات المتعلقة بأحداث الحرب العالمية الثانية . وتفسر هذه الظاهرة اجماع الجالية اليهودية في ادانة « اضطهاد » اليهود في الاتحاد السوفيتي وايران وبعض دكتاتوريات امريكا اللاتينية . اما اسباب هذه الظاهرة فيعود الى حساسية اليهودية ازاء مايسمونه اللاسامية انهم يحاولون الربط بين المعاداة للصهيونية باللاسامية .. نذكر هنا الادانة الشديدة التي وجهتها الجالية اليهودية للجنرال ديغول بعد حرب حزيران ، متهمة اياه بمعاداته للسامية .

بين اوساط الجالية اليهودية ، تختلط مفاهيم « اللاسامية » ومعاداة الصهيونية . فالاغلبية لاترى في المعاداة للصهيونية سوى الشكل العصري للاسامية . وتدعي ان نزاع الشرق الاوسط يسمح بالتعبير عن الآراء العنصرية اذ تروج المنظمات الصهيونية فكرة عودة شبح الفاشية . وتحاول المنظمات الصهيونية بأي شكل من الاشكال ان تعمل على توحيد الجالية اليهودية .. وما الانفجارات التي حصلت بين اعوام ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ م في باريس الّا جزء من هذا المخطط . فقد استخدمتها في غرضين الاول اتهام الفلسطينيين « الارهابيين » بذلك ، والعمل على تهجير افراد الجالية الى الكيان الصهيوني ثانيا . واشهر هذين الانفجارين هما : « مطعم غولدنبرغ » الواقع في شارع « روزييه » وتفجير معبد

« كوبرنيك » الواقع في شارع « كوبرنيك » .. وهما موقعان في قلب باريس اما موقف الجالية اليهودية ، باتجاهاتها وتياراتها المختلفة ، فقد ايدت سواء من خلال صحافتها او من خلال الصحافة الفرنسية الاعتداء « الاسرائيلي » على لبنان وما اطلق عليه بيغن بعملية « السلام في الجليل » . وقد عملت المنظمات الصهيونية على التشبث بـ « معاداة السامية » لتغطية الدمار والقتل والانتهاك الذي حصل في لبنان .. وكانت الصهيونية تدرك ان ترويج هذه الشعارات سيوحد يهود فرنسا . وكانت هناك استثناءات قليلة بطبيعة الحال . كما ذكرنا آنفا ، حاولت الصهيونية ان تجمع بين الاتجاهات والتيارات السائدة في الجالية اليهودية من خلال « مبادىء » مشتركة وهي الدفاع عن الهوية اليهودية ، ومساندة « اسرائيل » ومناصرة الجاليات اليهودية في جميع انحاء العالم .

ان ما يلاحظ خلال عرض اهم الاتجاهات السياسية السائدة في الجالية اليهودية : الاتجاه الديني ، والاتجاه الصهيوني ، واتجاه « الدياسبورا » .. انها تصب في قناة واحدة .. ذلك لانها ماتزال متمسكة بالنظريات التقليدية التي روجت لها الصهيونية العالمية منذ القرن التاسع عشر وهي : الاضطهاد اليهودي ، اليهود شعب واحد جذورهم تمتد الى قدامى اليهود ، اللاسامية ، ارض الميعاد ، والحق التاريخي ، والميثاق الالهي الى غيرها من الطروحات التقليدية . ومن الواضح ان عملية تكوين هذه الاتجاهات السياسية ، ومايختفي وراءها من منظمات سياسية لم تكن سهلة ، بل كانت عملية التسلل الفكري والعاطفي في اوربا ، وعلى الخصوص في فرنسا ، تنفذها اجهزة وعناصر صهيونية يهودية فحسب وانما عناصر غير يهودية . وتقوم هذه الاتجاهات المذكورة ، ومايتخللها من تيارات مختلفة ، بتعبئة الجماهير اليهودية وغير اليهودية الى جانب القضية الصهيونية . وتعمل الصهيونية العالمية على استخدام عناصر غير يهودية كوسيط لنقل الفكر الصهيوني ؛ لذا نرى انها متغلغلة في مختلف الميادين الثقافية والسياسية والاجتماعية في فرنسا . وقد نجحت الصهيونية في استمالة

الشخصيات الادبية والفنية العالمية الى جانبها ..

ان حالة التعددية التي تتبجح بهـا الصهيونيـة العالميـة ليست الاّ خطة مرسومة لاخفاء الوجه الحقيقي للصهيونية ومراميهاالبعيدة ان حركة وديناميكية العمل السياسي الصهيوني في الغرب تتطلب نظرة عميقة في حيثيات هـذا العمل والفكر الموجه له .. ولايخفى ان عددا كبيرا من افراد الجالية اليهودية الفرنسية مايزال نائما تحت تخدير صهيوني يخاطب غرائزه ومشاعره كي لايستيقظ من هذا السبات العميق .

- ٣ -

ظهور الحركة الصهيونية في فرنسا

من المعروف ان اول مدرسة زراعية سميت بـ « ميكف اسـرائيل » ، تأسست عام ١٨٧٠ بمسـاعدة « الرابـطة اليهوديـة العالميـة » Alliance Israelite Universelle والمليونير ايدموند روتشيلد في فلسطين . وفي عـام ١٨٨٢ بدأت اولى موجات هجرة اليهود الروس ، وفي العام ذاته ظهر البيان الاول للصهيونية الحديثة المسمـاة بـ « الانعتاق الذاتي » Autoemancipation الذي دعـا اليه احـد اليهود الروس القاطنين في برلين ، ويدعى « ليو بينسكر » . في عام ١٨٩٥ الف مؤسس الصهيونية السياسية المعروف ، تيودور هيرتزل كتابه الشهير « الدولة اليهودية » Etat Juif وذلك نتيجة لتأثره الحاسم بما فعلته قضية دريفوس من صراعات داخلية في المجتمع الفرنسي وانقسام الرأي العام الفرنسي ازاء هذه المشكلة . فالتنظيم الصهيوني بكل معنى الكلمة ، ولد على وجه التحديد في عام ١٨٩٧ .

والسؤال المطروح في هذا المقام هو :

كيف استقبلت فرنسا فكرة الصهيونية ؟ في الحقيقة ان مسألة « العودة الى القدس » كان قد طرحها عدد من الكتاب والمفكرين غير اليهود بشكل نظري بحت ، على سبيل المثال ؛ ماطرحه ايرنست كاهرين عام ١٨٦٩ في كتابه « المسألة الجديدة للشرق الاوسط » Le Nouvelle question d'bient وكذلك ماطرحه الكسندر دوماس الابن

فيما بعد اي في عام ١٨٧٣ في مسرحيته « امرأة كلود » La femme de claude لكن كل ذلك لم يشكل تيارا فكريا واضحا بل اثار على العكس ، معارضة شديدة وخاصة عند الفرنسيين غير اليهود . وفيما بعد نشر هاوستن ستيورت شامبرلين كتابه ذا المجلدين عن العداء للسامية وتحدث عن المؤتمر الصهيوني الاول الذي انعقد لتوه في « بال » .

وقد اتفق ان ظهر في الفترة ذاتها كتاب هيرتزل الشهير وتسوية قضية دريفوس لصالح اليهود . يضاف الى ذلك ترجمة كتاب هيرتزل للفرنسية ونشره في « المجلة العالمية الجديدة » Lanouvelle revue Internationale مما اثار ردود فعل متفاوته في سلبيتها وايجابيتها بين الاوساط الفرنسية آنذاك . ولم يحضر من ممثلي الحركة الصهيونية الفرنسية المؤتمر الصهيوني سوى عدد قليل : وكان ممثلها زادوك خان يتميز بموقفه الغامض اذ يعتبر الحركة الصهيونية مشروعا طوباويا (خياليا) من جهة ومن جهة اخرى لايريد ادانتها. وفي تلك الفترة كان مشغولا باستقبال ومساندة اليهود المهاجرين من اوربا الوسطى . ومن ثم صرح بأهمية انشاء ميناء في ارض فلسطين . وبالرغم من كل التعقيدات التي اثيرت حول شخصيته ، فأنه كان يحمل بذور الصهيونية في دواخله . اما بيرنار لازار ، الرائد الاول للحركة الصهيونية في فرنسا ، فقد واجه نقد الاوساط الدينية اليهودية .

يمكن القول ، ان الصهيونية في فرنسا ، مرت بثلاث مراحل من اجل نشر « دعوتها » :

اولاً : تبدأ المرحلة الاولى بفترة مابين الحربين فقد دخلت الايدلوجية الصهيونية مع الموجات الاولى للمهاجرين البولونيين والروس .

ثانياً : تبدأ المرحلة الثانية في اعقاب الحرب العالمية الثانية بعد احداث الحرب التي اثرت بشكل ملحوظ على مصير الجاليات اليهودية الاوربية بصورة عامة .

ثالثاً : اما المرحلة الثالثة فتبدأ اثر حرب حزيران عام ١٩٦٧ وبعدها .

عشية حرب حزيران ، كان المنتمون الى الاحزاب والمنظمات الصهيونية ينقسمون الى اربع فئات ايديولوجية متميزة وقد لقب قسم منها باليمين الصهيوني الذي كان يناصر فكرة « اسرائيل الكبرى » بما يعني التواجد على ضفتي نهر الاردن . والفئة الثانية تنادي بفكرة الدولة القومية المزدوجة - اي تعترف بالوجود العربي !! وكانت هذه الفئة اول من ارسل المنظمين في صفوفها ، الى الاراضي المحتلة لغرض تشييد وبناء « الاشتراكية الصهيونية » طبقا لتصوراتهم . اما الفئة الثالثة ، فكثيرا ماتشبه ميول حزب العمال البريطاني ويتسم بكثرة المنتمين في صفوفه . وتبقى الفئة الرابعة التي تتميز بامتلاكها الاموال الضخمة وتعمل على ارسالها الى « اسرائيل » .

في الحقيقية ان الاحزاب الصهيونية نشأت وتأسست في اوربا الوسطى قبل ان تصل فرنسا . لكن جذور ظهور الحركة الصهيونية بشكلها العفوي ، ان صح التعبير ، تعود الى قضية دريفوس الشهيرة Affaire Dreyfus التي اتهم فيها الضابط اليهودي الفرنسي بالتجسس لصالح اعداء فرنسا ١٨٩٤ قبل ان تتضح فيما بعد براءته . كانت عملية اسقاط رتبته العسكرية الجذر الاساسي في ظهور وتطور نظرية هيرتزل الصهيونية كما اسفلنا سابقا . ولم يكن لهذه النظرية صدى عميق في اول الامر الّا ان عملية رد اعتبار دريفوس في عام ١٩٠٦ دفع اليهود الفرنسيين الى اثارة مسألة الاندماج Integration والعودة الى الوراء في فحص جميع تفاصيل تاريخهم السابق .

عادة عندما تنشأ الاحزاب وتتكون تحمل ضمنيا وعلنياً روح المنافسة من اجل الحصول على السلطة السياسية ولكن ليست هذه هي الحالة مع الاحزاب الصهيونية في فرنسا . ان معظم هذه الاحزاب جاءت وتشكلت من اوربا الشرقية ، وتركيبها في الاساس لم يكن يختلف عن تركيب الاحزاب الاعتيادية . اما

مشروعاتها السياسية فتركزت في السعي لخلق دولة منعزلة . وهذه هي النقطة الوحيدة التي لم تختلف في شأنها كافة التيارات الصهيونية المتنوعة . ولم تبرر هـذه الاحزاب وجـودها وكيـانها في فـرنسا الاّ في اطار السعي لايجـاد الدولة اليهودية . والاحزاب الصهيونية عاشت وماتزال تناقضا صارخا بين الدعوة الى الهجرة وتأسيس الدولة اليهودية ومابين المساهمة في حياة الجالية اليهودية التي تعتمد على الممارسة الدينية الطائفية .

حتى هذه اللحظة لم تستـطع الصهيونيـة ان توفق بـين هذين الهـدفين المتعارضين : الدولة الصهيونية والجالية اليهودية وتزداد هذه التناقضات وتخفت نبرة الصهيونية كلما سعت الجالية اليهودية الى الذوبان والتماثل الثقافي في سلم التنظيم الاجتماعي . وهكـذا نجد التعـارض يتجدد بـين الاحزاب الصهيـونية والتنظيمات الطائفية اليهودية ، عدم الاندماج والتماثل ولقـد تخطت الاحـزاب الصهيـونية وتجـاوزت مفاهيم التضـامن الطائفي الى « الوعي السيـاسي » او « الفعـل السياسي » وكـان من الطبيعي ان تتظاهـر في البدء بعمليـة التضامن الطائفي . فالاعضاء المتواجدون في الاحـزاب الصهيونيـة يدعـون الى تأسيس « الدولة اليهودية » من ناحية ؛ ومن ناحية اخـرى يتظاهـرون بحياة الجـالية اليهودية وذلك من خلال الانخراط في التجمعات الثقافية الرسمية واقامة العلاقات الاجتماعية الظاهرية في المجتمع الفرنسي . وبقدر ماكانت المؤسسات اليهودية في فرنسا مفتوحة أمام « الاشكنازيين » ـ يهود اوربا الوسطى ـ فأنها مغلقة امام « السفارديين » ـ يهود المغرب العربي ـ بينما يشكل الاخيرون طائفة يهوديـة تنسجم مع التركيب الشرعي لليهودية الفرنسية وان الاختلافات الاتنوغرافية ـ العرقية ـ لايمكن ان تخفيها الحركة الصهيونية اضافة الى التفرعات الموجودة بين اليهود المهاجرين البولونيـين ، واكثرهم من الطبقـات الكادحـة ، وبين اليهـود الفرنسيين . وهذا دليل قاطع على بطلان الادعاءات الصهيونية التي تنادي بأن اليهود امة واحدة . فمن الناحية الثقافية والاتنوغرافية والحضارية : مـاالذي

يربط بين يهودي مغربي ويهودي بولوني ويهودي فرنسي ؟!!

ان كل واحد من اولئك يستطيع ان يعيش ويندمج في مجتمعه الاصلي - المغربي والبولوني والفرنسي - على ان يعيش ويندمج في شتات تطلق عليه الصهيونية « المجتمع الاسرائيلي » . ومع كل التناقضات الآنفة الذكر ؛ فقدت الاحزاب اليهودية ذات الاتجاه الصهيوني غالبية اعضائها . خاصة وان روادها اغلبهم من كبار السن حاليا ولهذا الانحسار ثلاثة عوامل رئيسية :

١ - الوظيفة الايديولوجية التي استخدمتها الاحزاب اليهودية آنذاك .

٢ - الدور الفعال الذي لعبته هذه الاحزاب في الماضي .

٣ - السبب الثالث يكمن في اسلوب عملها .

من الناحية الايديولوجية ، لم يعرف يهود اوربا الشرقية والالزاس وفيما بعد الانكسار الذي عانته الطوائف اليهودية في المغرب العربي لم يعرفوا حرية التعبير بالشكل الذي عرفه يهود فرنسا .

يزعم بعض مؤرخي الصهيونية ان الصهيونية عبارة عن ايديولوجية انتقالية Ideologie de transition من القرية الى المدينة ومن الوسط التقليدي الى الاقتصاد الحديث . فهذه الانتقالة توافقت مع هجرة يهود اوربا الشرقية في بداية القرن الاّ انها جاءت متأخرة بالنسبة ليهود فرنسا والمغرب العربي الذين تركزوا شيئا فشيئا في العاصمة .

والصهيونية ، بأعتبارها ايديولوجية مستوردة الى فرنسا ، تميزت بأبعاد سوسيولوجية اكثر منها سياسية ربما ارادت بذلك اخفاء الاهداف السياسية المباشرة وماقد تسببه هذه الاهداف من ردود فعل سلبية في بادى الامر . لابد من الاشارة الى ان هذه الايديولوجية الانتقالية .. ادت الى تفجير تركيبة الطوائف

التقليدية ، خاصة بعد ان انتهت موجات الهجرة واستقرت في باريس .

ولكي تسيطر الحركة الصهيونية على الطوائف اليهودية ذات الاصول المختلفة ، دعت الى المحافظة على تراث وتقاليد كل منها وذلك ضمن تكتيك سياسي واضح . كما سعت الى القيام ببعض المهمات الاجتماعية كأيجاد العمل للعاطلين ، وتعليم اللغة الفرنسية ولعب دور الوسيط بين الجالية والسلطة .

لكن الاحزاب الصهيونية مرت بنكسات متعددة ويعود ذلك ، الى اوضاع اليهود ذوي الاصول المتنوعة اذ تميزت بمواقفها التي لم تكن تنسجم والمخططات الصهيونية . ان اليهود ذوي الاصول المتنوعة قطعوا الطريق نوعا ما على الحركة الصهيونية وذلك من خلال الدعوة الى مناصرة الطبقات الفقيرة ، المطالبة بالعلمنة ، وكذلك الدعوة الى التكيف والاندماج مع المجتمع الفرنسي . فالحركة الصهيونية لم تستطع ان تجتذب كل التنظيمات اليهودية ولا الادباء والمفكرين والكتاب . يبقى ان المجتمع الفرنسي ، بتركيباته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لم يقدر على ادماج الطوائف اليهودية كما هو الحال في المجتمع الامريكي ، وانما اقتصر هذا الاندماج على الافراد .

ولم يلق وعد بلفور صدى واسعا عند اليهود المحليين Autochtone ، ففي ٢٧ شباط ١٩١٩ ، استدعي في « مؤتمر السلام » كل من وايزمان ، سوكولو ، اوسيشيكن ، وسلفيان ليفي ، لابداء ارائهم وملاحظاتهم ازاء الصهيونية كان سلفيان ليفي يتزعم « الرابطة اليهودية العالمية » فلم يعر انتباها كبيرا الى نظرية تأسيس « الدولة اليهودية » بل حاول التركيز على اثارة مشكلة الهوية المزدوجة . واستمر موقف الجالية اليهودية الفرنسية السلبي من الصهيونية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى . اتجه البعض امثال تيودور ريناش ، احد اقطاب الصهيونية الفرنسية ، الى اثارة قضية دريفوس من جديد للتأثير على الرأي العام اليهودي .

وقد نبه بعض القادة والسياسيين الى مخاطر قيام « الدولة اليهودية » ،

ومن اولئك نذكر سيمون فيّ ، رئيسة البرلمان الاوربي الحالية : في تصريحها الموجه عام ١٩٣٧ الى هتلر مؤكدة انها ترفض رفضا قاطعا « ولادة امة يمكنها في غضون خمسين عاما ، ان تشكل خطرا على الشرق الاوسط والعالم . » لهذا فقد برزت تيارات متعددة بين اليهود منهم من يطالب بـ « اشتراكية مستقلة ثقافيا ضمن دولة ليبرالية » . كما يطالب الشيوعيون اليهود بضرورة تطبيق نموذج « البيروجان » المعمول به عند يهود الاتحاد السوفيتي . هذه هي بعض الاراء المعتدلة ، يقابلها من ناحية اخرى ظهور اراء متطرفة عبر عنها الكاتب كادمي كوهين ، وهو احد قادة الصهيونية ؛ كتب في كانون الاول ١٩٣٣ في مجلة « شالوم » قائلا : « انني انادي ، وبكل قواي ، قيام حركة صهيونية واسعة النطاق تريد تحقيق كل شيء : دولة يهودية مستقلة تمتد من البحر الاحمر الى الفرات . ينبغي تحقيق ذلك وبكل الوسائل ـ حتى لو تطلب اشعال الحرب اذ انها الوسيلة الوحيدة التي ننال بها ما ينبغي . » اما ردود الرأي العام غير اليهودي فلم يكن لصالح الصهيونية تماما اذ ان فرنسا تعتبر نفسها دائما المدافعة عن حقوق المسيحيين في الشرق الاوسط .. ولابد من الاشارة الى انسحاب فرنسا من الوصاية على فلسطين الى بريطانيا في عام ١٩٢٢ بينما تنص معاهدة « سايكس بيكو » الشهيرة على ضرورة وضع فلسطين تحت ادارة عالمية تشكل فرنسا احد اطرافها . بالرغم من عدوانية غالبية موظفي « كي اورسي » Quai d' orsay فأن التظاهرات الرسمية المتعاطفة مع الصهيونية تضاعفت ونذكر منها مايلي :

- ٤ حزيران ١٩١٧ : اعلان جول كامبون وزير الخارجية انذاك .
- ١٤ شباط ١٩١٨ : اعلان ستيفن تارديو عضو الحكومة قائلا :

« اذا كانت هناك امة تكونت بشكل طبيعي لكي تفهم اليهود والمثال اليهودي ، فهي بلا شك ودائما الامة الفرنسية . »

- ١٩ ديسيمبر ١٩٢١ : اعلان برايند رئيس المجلس ..

ـ ٢١ مارس ١٩٢٢ : اعلان ميليراند رئيس الجمهورية انذاك .

بالاضافة الى كل ذلك حصلت فرنسا على « حق » الوصاية على كل من سوريا ولبنان .

اما هنري بوانكاريه ، فقد وقف موقفا معارضا للصهيونية قائلا : « قد تحمل الصهيونية فوائد ، لكنها لايمكن ان تؤثر على فرنسا حيث ذاب اليهود في الامة الفرنسية منذ زمن طويل . » لكن هنري ماسنيون ، المستشرق المعروف ، اعلن تعاطفه وتعلقه بالصهيونية . كما نبه الى خطورة الصراع بين العالمين ، ودعا الى توافق الصهيونية والعرب بقوله شالوم ـ سلام . shalom — salam

يبقى ان نقول ان يهود اوربا الوسطى والبحر الابيض المتوسط هم الاكثر محافظة من اليهود الاخرين على السمات الاجتماعية والاقتصادية لاوضاعهم المستقرة في فرنسا . والسؤال المطروح : هل بامكان الصهيونية التأثير على جميع اوساط الجالية اليهودية ؟

ـ ٤ ـ

المنظمات الصهيونية

يعتمد مجمل الحركة الصهيونية في فرنسا ، وانشطتها السياسية والثقافية والايديولوجية ، بالدرجة الاولى على هياكل تنظيمية معينة .

اذن موضوعة المنظمات الصهيونية في فرنسا ، وفي معظم انحاء العالم ، تشكل العمود الفقري للنشاط الصهيوني .

تنقسم هذه المنظمات الى اصناف ثلاثة وان توحدت في التوجهات والاهداف وهي كالتالي :

- المنظمات السياسية .
- المنظمات الدينية .
- المنظمات الثقافية ـ الاجتماعية .

■ المنظمات السياسية

لم تعرف الساحة الفكرية والثقافية في فرنسا ، قبل عام ١٩٤٤ ، نشاطا لمنظمات صهيونية على النطاق السياسي بل كان هذا النشاط يتبلور في التظاهرات الثقافية والتعليمية فقط . غير ان التطورات التاريخية للاحداث انتجت منظمات سياسية تتولى مهام الدفاع عن مصالح الجالية اليهودية لأنها تشكل خلية منفصلة عن المجتمع الفرنسي حسب ادعاءات الاوساط الصهيونية .

لقد ظهرت منظمات عديدة تدعي كل منها انها تمثل الجالية اليهودية على الساحة السياسية الفرنسية . ولعلنا نذكر ان ظهور اول منظمة من هذا النمط يعود الى عام ١٩٤٣ .

ولم تظهر بشكل علني . كانت هذه المنظمة تطمح الى تجميع كافة افراد الجالية اليهود ، بكل اختلافاتها الايديولوجية والسياسية . واطلقت على نفسها اسم « المجلس الممثل ليهود فرنسا » ، C. R. I. F Conseil Representatif des Israelites en france وتتلخص اهدافها في الدفاع عن مصالح وحقوق الجالية اليهودية والتعبير عن آرائها امام المؤسسات الحكومية والاحزاب والرأي العام الفرنسي . ومن ابرز قادة هذه المنظمة : المليونير اليهودي الن دي روتشيلد ، تيو كلاين ، وجان روزنتال ، وليون مايس ، وفيدال مودیانو ، ادي ستيك . وتغيرت فيما بعد تسمية هذه المنظمة الى « المجلس الممثل للمؤسسات اليهودية في فرنسا » .

اما منظمة الفرع الفرنسي « للكونغرس اليهودي العالمي » التي عرفت نجاحا باهرا في الستينات والسبعينات بسبب شخصية ناهوم غولدمان ، فتتعرض حاليا الى نوع من الانحلال بسبب المصاعب المالية ومواقف ناهوم غولدمان التي لم تكن تنسجم تماما مع السياسية « الاسرائيلية » . وهذا لايعني ان غولدمان لم يكن صهيونيا . غير ان مواقفه ازاء الكيان الصهيوني جعلت هذا الفرع من المنظمة يفقد مساعدة الجالية اليهودية بصفة عامة ، والاوساط الصهيونية الارثذوكسية على وجه الخصوص .

تعتبر منظمة « انبعاث اليهود » Renouveau Juif من انشط واوسع المنظمات الصهيونية المنتشرة الفرنسية•اسس هذه المنظمة الاخوان هنري وسيرج هاجنبرغ عام ١٩٧٩ ، وكان الهدف الاول لنشاطها خلق مجموعة يهودية تشبه اللوبي الصهيوني في امريكا ، وكذلك « الاحتجاج ضد خمول وميوعة المنظمات الصهيونية الاخرى » . وتتميز هذه المنظمة بتطرفها وتعصبها للافكار الصهيونية . كما وتسعى لاعطاء الجالية اليهودية ثقلا سياسيا في الانتخابات الفرنسية متجاهلة ماتسببه هذه الدعوة من مخاطر عزل الجالية اليهودية عن بقية المجتمع الفرنسي . وقد نالت هذه المنظمة نجاحا كبيرا في الاوساط اليهودية بتأسيسها اذاعة « راديو ج » الحرة التي مارست تأثيراتها الفعالة ! ويبدو للأسف ان هذه المنظمة هي الاكثر تجاوبا مع طموحات ومشاعر الجيل الثاني من الجالية اليهودية مما يدل على مدى خضوعه للدعاية الصهيونية واغراضها . ان الافكار الدعائية لمنظمة « الانبعاث اليهودي » ومواقفها الصلبة المتجمدة تثير اعجاب وحماس عدد لايستهان به من اليهود الفرنسيين الذين يرون في هذه المنظمة جهازا يستطيعون من خلاله التعبير عن آراء وافكار ربما تثير ردود فعل حادة خارج نطاقها .

وهناك منظمات تقل اهمية ونفوذا عن المنظمات السابقة مثل : « بناي بريت » (ابناء العهد) les fils de L'alliance القريبة من آراء الحركة الماسونية وتدعي هذه المنظمة ان هدفها الاساسي هو الكفاح ضد العنصرية ومعاداة السامية غير انها تنطوي على اهداف اخرى منها القيام بأعمال سياسية متضامنة ومؤيدة للكيان الصهيوني . ومن ابرز وجوهها : جان بيير بلوك ، وسام هوفنبرغ .

في الحقيقة لم يكن غزو الصهيونية لفرنسا بالامر الطارىء بل ظهر على اعقاب الحرب العالمية الثانية لاسباب معروفة وبديهية . كما ان الدعاية الصهيونية استطاعت ان تجعل معظم اليهود الفرنسيين يتعاطفون مع الكيان الاسرائيلي منذ نكسة حزيران ١٩٦٧ .

اما المنظمة المسماة بـ « الحركة الصهيونية الفرنسية » mouvement sioniste de france فلا يتجاوز عدد المتعاطفين معها بضعة آلاف ، بالاضافة الى الاعضاء الذين يبلغ عددهم بضع مئات .

وتجدر الاشارة الى ان كافة الاحزاب الموجودة في الارض المحتلة لها فروع وذيول تابعة ، تقلدها فكرا وممارسة ، وتقوم بممارسة نشاطاتها سواء في فرنسا او البلدان الاوربية الاخرى واهم هذه المنظمات التابعة : « حيروت » Herouth التابعة لحزب بيغن ، و« الافودا » Avoda المرتبط بالحزب الاشتراكي الاسرائيلي ، و« حلقة برنار لازار » cercle Bernard Lazare المنبثقة من حزب « مابام » الاسرائيلي ، واصدقاء شالوم اخشاف . Les Amis de Shalom Akhshav

وهناك منظمات تابعة للاحزاب الدينية المتطرفة الاسرائيلية مثل : « مزراحي » Mizrahi و« اكودت اسرائيل » Agoudath Israel .

وتجمع منظمات اخرى طلبة المدارس الثانوية والاعدادية مثل « درور » Dror و« ايهود هابونيم » Ehoud Habonim و« هاشومبر هاتساير » Hashomer Hatsair ..

ولهذه المنظمات دور كبير في احداث الانعطافات والتغييرات في موقف القادة اليساريين الفرنسيين وتلعب دورا سياسيا هاما في تعبئة الجالية اليهودية والرأي العام الفرنسي .. ونذكر على سبيل المثال المظاهرات التي قامت بها منظمة « اتحاد الطلبة اليهود في فرنسا » Union des Etudiants Juifs de France امام السفارة العراقية احتجاجا ضد مايسمونه بـ « اضطهاد اليهود في سوريا والعراق » . كما اننا نلاحظ ان هذا النوع من النشاط لا يصل الى هذه الدرجة الا عندما تطرأ احداث هامة في الشرق الاوسط . انها بالاحرى عبارة عن غطاء تستخدمه المنظمات الصهيونية لكي تتستر على جرائمها الاخرى من ناحية ؛ والتأثير على بوادر تعاطف الرأي العام الفرنسي مع القضية العربية من ناحية ثانية . ولم يتردد عدد كبير من المنظمات الصهيونية عن استخدام وسائل غير شرعية في نشاطاتها مثل هجومهم في عام ١٩٧٣ على شركات الطيران العراقية والسورية في فرنسا .

وتمارس « المنظمة العالمية للنساء الصهيونيات » -W. I. Z. O Organisation Intena tionale des femmes Sionistes نشاطات سياسية عديدة متسترة وراء مظهر الجمعية الخيرية . وتشن المنظمات الصهيونية في فرنسا هجومات معينة ضد الاتحاد السوفيتي بحجة اضطهاد اليهود هناك ومن اهم المنظمات التي تنحو هذا الاتجاه : « المجلس الوطني للدفاع عن حقوق يهود الاتحاد السوفيتي » Conseil National Pour lo Protection des Droits des Juifs d' U. R. S. S.

و « الجمعية النسائية للتضامن مع يهود الاتحاد السوفيتي »Comite Feminin de Soutien aux Juifs d' U. R. S. S. وتعمل منظمة النساء الصهيونيات على بث دعايتها بين النساء اليهوديات الفرنسيات لدعم الكيان الصهيوني وترسيخه في الاذهان .

ان الحرب السايكولوجية التي تشنها المنظمات السياسية الصهيونية ذات اهمية بالغة وخاصة سعيها في تخدير الرأي العام الفرنسي . ولاتتردد اجهزة الدعاية الصهيونية في خلق البلبلة داخل المجتمع الفرنسي بنشر الاكاذيب والادعاءات ، كتزييف الحقائق حول احداث معينة نذكر منها : حريق مبنى « بابليسيس » في الشانزليزيه عام ١٩٧٣ الذي استغلته الصهيونية على انه ارهابي قامت به منظمة « ايلول الأسود » . والحادثة لم تكن في جوهرها سوى حريق اعتيادي . كما عملت احدى المنظمات الصهيونية على توزيع منشورات مزيفة منسوبة الى « جمعية صداقة الجزائريين في اوروبا » ، وقد نشرت في بعض الصحف الفرنسية وقد كذبت الجمعية المذكورة هذه المنشورات .

وتذهب المنظمات السياسية الصهيونية الى ابعد من هذا الحد : فقد بعثت برسائل موقعة بأسم « صندوق التضامن مع المقاومة الفلسطينية » مهددة الشركات الفرنسية المتعاملة مع البلدان العربية بضرب مصالحها في حالة عدم مساندتها لـ « صندوق التضامن » الذي لم يكن الا من ابتداع المزيفين الصهاينة . واضافة الى ذلك وزعت احدى المنظمات الصهيونية منشورات موقعة بأسم « شارل مارتيل » Charles — Martel تطالب بتفجير المساجد والمقاهي والدكاكين

العربية وقتل العرب ! غير ان هذه المنشورات كانت مطبوعة بنفس حروف الآلة التي استخدمتها المنظمة الصهيونية التي وزعت منشورات « حريق مبنى » بابليسيس في الشانزليزيه .

لقد اشرنا سابقا الى ان لهذه المنظمات اهدافا سياسية بحتة : وهناك منظمات متخصصة بتشجيع الهجرة الى الارض المحتلة مثل « الوكالة اليهودية من اجل اسرائيل » Agence Juive Pour Israel التي تعمل مع مؤسسات اخرى على اعداد الشباب وتهيئتهم للحياة في « الكيبوتز » ، ومنظمة « ماف » MAF Mouvement de L'alyah de france و « رابطة الطلبة الاسرائيليين في فرنسا » Association des Etuiants israeliens en france و « مركز الاعمال والدراسات الصهيونية » Centre d'Action et d'E- tudes sionistes وهناك عدد لايستهان به من روابط وجمعيات الصداقة مع الكيان الصهيوني يبلغ عددها مايقرب من مائة نذكر منها على سبيل المثال « الرابطة الفرنسية ـ الاسرائيلية » Alliance France — Israel .

اننا لايمكن بأي شكل من الاشكال ان نستهين بقدرة هذه المنظمات ونفوذها الواسع في الاوساط السياسية الفرنسية والعالمية .. كما ان استمرارية خلق هذه الاجهزة وتمويلها سواء من قبل الكيان الصهيوني او المنظمة الصهيونية العالمية ، هو جزء لايتجزأ عن الحرب المعلنة ضد العرب اينما تواجدوا . ففي الوقت الذي تتواجد فيه مئات المنظمات الصهيونية سواء كانت ثقافية او دينية او اجتماعية او سياسية : نلاحظ ضعف المنظمات العربية المواجهة لهذه المخاطر ، وتأثيراتها الضارة على المصالح والعلاقات العربية ـ الفرنسية .

المنظمات الدينية

منذ بداية القرن التاسع عشر ، حافظت الجالية اليهودية على نظام « تجمع الكهنة » Consistoire غير ان التطورات التي طرأت على اعقاب الحرب العالمية الثانية غير مجرى الامور مما افقد هذا التجمع تمثيله الكامل ليهود فرنسا . وقد لعب هذا

التجمــع المسمى بــ « رابطة تجمــع اليهود في بــاريس » Association consistoriale Israelite de Paris دورا هاما في نشأة وتبلور الحياة اليهودية التي اخذت تنفصل شيئا فشيئا عن حياة المجتمع الفرنسي برمته . ومن بين كل التنظيمات الدينية ، اصبح هذا التجمع عبارة عن رابطة دينية لاتختلف عن سواها الا لكونها حافظت على سمات المؤسسة الرسمية في تمثيل الديانة اليهودية .

وهناك منظمات ثقافية معينة تشرف اشرافا مباشرا على ممارسة العبادة . وهذه المنظمات عبارة عن مجموعة روابط تمارس نشاطاتها تحت اسم « التجمع المركزي اليهودي في فرنسا والجزائر » Consistoire Central Israelite de france te d'Algerie ويسعى هذا التجمع الى الحفاظ على مصالح الديانة اليهودية وعلى الحريات اللازمة لممارستها وكذلك الدفاع عن حقوق الجالية ، وتأسيس وتطوير المنظمات والخدمات لمختلف الاجهزة المنتمية لهذا التجمع الذي يذهب الى ابعد من ذلك فيشرف على العبادة والطقوس مثل مراسيم الختان والزواج والدفن ومراقبة احترام القوانين المتعلقة بالاطعمة والذبائح . ومن خلال التعليم الديني يشرف التجمع على اعداد الكهنة الجدد . وله مهام اخرى كتمثيل الديانة اليهودية امام الاجهزة الحكومية الفرنسية .. اضافة الى تمثيله للقوانين الدينية ومحكمة الكهنة والطلاق والزواج واعتناق الديانــة اليهوديــة وما الى ذلك من الامــور . ويديــر هذا التجمــع كهنة وعلمانيون امثال ليون مايس ، الن روتشيلد ، جان ـ بول الكان . وللتجمع اربعة فروع في فرنسا . وقد طرأت على بنيته تغييرات عديدة اهمها : انفتاحه على يهود الجيل الجديد ذوي الاصول العربية ، العمل على مساعدة هجــرة يهود شمــال افريقيا ، وعلى الخصوص الجزائريين . كما قام منذ عام ١٩٥٥ بأتخاذ اجراءات لمساندة اليهود المصريين والتونسيين والمغاربة في بناء المعابد ذات الطابع والطقس الشرقيين . الا ان الجالية اليهودية التونسية والمغربية رفضت سيطرة هذا التجمع بسبب رفضه منح قادتها مناصب دينية داخلية . لكن الامر اختلف فيما يخص اليهود الجزائريين ذلك لانهم خضعوا منذ عام ١٨٤٥ الى نظام التجمع الفرنسي

بينما احتفظ اليهود المغاربة والتونسيون بأستقلاليتهما . وانتماء الجزائريين الى التجمع يعود الى انهم كانوا منتمين منذ امد طويل الى الثقافة الفرنسية عما سهل عملية اندماجهم بحيث لم يشعروا بانقطاع او عزلة عن تركيب الجالية هناك . وبالرغم من كل ذلك ، يعاني اليهود ذوو الاصول العربية ، من عنصرية خانقة وهذا يذكرنا ، بطبيعة الحال ، ببعض مظاهر التمييز العنصري في « المجتمع الاسرائيلي » حيث يعتبر اليهود ذوو الاصول العربية مواطنين من الدرجة الثانية .

وكما قلنا يسعى هذا التجمع الى تشييد المعابد في المدن والضواحي الفرنسية مثل سارسيل ، كريتي ، ماسي ، انطوني ، اورلي ، شامبيني ، لي بلاند ميسنيل ، كورنيف ، امنيز ، كان ، سانت ايتين ، مارسيي ، نيس ، لاروشيل ، بيربنيون ، مونبلييه ، وكرونويل .. وغيرها . ولكي تتم سيطرة هذا التجمع على الجالية اليهودية ، سمح لافرادها للاحتفاظ بتقاليدها الدينية الخاصة . الا ان الجالية اليهودية المغربية عبرت عن احتجاجها العنيف داخل التجمع للحفاظ على استقلاليتها كليا وعدم الانصياع الى اوامر التجمع .. وبمرور الزمن استطاعت ان تلعب دورا هاما الى ان تم اختيار رئيس التجمع « رينيه صموئيل سيرات » بأعتباره الكاهن الاكبر ، وهو من اصل جزائري . ومهما حاول التجمع من اضفاء روح التسامح والحرية الا ان موقفه ظل محافظا ازاء يهود اوربا الشرقية والوسطى .

ويدل تنصيب رينيه صموئيل سيرات على رأس هرم اليهودية الفرنسية على انها اصبحت اقرب للتيار الاتي من شمال افريقيا منها الى تقاليد اوربا . غير ان الكاهن سيرات يبقى ، رغم كل التفسيرات ، ممثل للجالية « المتفرنسة » والمنتمية الى نظام التجمع اليهودي منذ زمن طويل الا وهي الجالية الجزائرية . ولم يثر هذا التنصيب ردود فعل كان من الممكن ان تثيرها تسمية كاهن من اصل مغربي او تونسي .

ومنذ القرن التاسع عشر ، انقسمت اليهودية الى مذاهب وتيارات مختلفة اهمها ثلاثة :

اولا : التيار الارثدوكسي .

ثانيا : التيار المحافظ .

ثالثا : التيار الليبرالي .

ويتعتبر « تجمع الكهنة اليهودي » منتميا الى التيار الثاني اذ تكمن من التوفيق بين القوانين اليهودية الصارمة والاصلاحات المعاصرة في ممارسة العبادة والمراسم الاخرى . اما التيار الارثدوكسي فهو نابع عن

نظرية « سامسون رافائيل هيرش » القريب من مذهب « الحاسديم البولوني » Hassidisme ومما يؤخذ عليه اعتداله وتنازلاته امام ضرورات العصر . تحت راية « مجلس تمثيل اليهودية التقليدية في فرنسا » conseil Representatif du Judaisme traditionnaliste de France . الذي يشرف على المعابد وحركات الشباب والاحزاب الصهيونية ذات الانتماء الديني .

وبالرغم من وجود التيار الليبرالي القوي الذي يحاول التخلص من المحرمات الكهنية لانها لاتنسجم مع روح العصر لم تستطع « حركة الاصلاح اليهودية » ، على عكس ماحصل في المانيا والولايات المتحدة ان تخلق انشقاقا هاما داخل الجالية اليهودية . وقد انبثق عن ذلك اتحاد اليهود الليبرالي Union liberale Israelite تحت اشراف كل من الكاهن لويس جرمان ليفي وسالومو ديناك .. ويمتلك هذا الاتحاد المعبد الشهير الواقع في شارع كوبرنيك في باريس .

واستطاع هذا الاتحاد ان يجمع بين النخبة الاجتماعية اليهودية الفرنسية ؛ ومن اصلاحاته انه ادخل اللغة الفرنسية في ممارسة العبادة كما حذف بعض الطقوس واختزل مدتها . ونشط هذا التيار على اعقاب الحرب العالمية الثانية وذلك تحت تأثير الكاهن « زاوي » مؤلف كتاب « التعليم الليبرالي لليهودية » .. وانذاك استأنف هذا التيار حركة العودة الى المنابع العبرية « دين اكثر اصالة »

كما دعا الى الاختلاط بين الرجال والنساء اثناء العبادة وهناك « المعهد العالي للدراسات العبرية « Institue International d'etudes Hebraique الذي يشرف على معابد عديدة اهمها معبد « كوبرنيك » الشهير الذي يلعب دورا هاما في تسهيل عملية اعتناق الديانة اليهودية للاشخاص الذين يريدون الزواج من اليهود .

وهناك تيارات دينية متعددة داخل صفوف الجالية اليهودية في فرنسا منها طائفة « حاسديم » Hassidim في بولونيا الخاضعة للتيار الصوفي الذي اسسه « بال شيمتوف » .

والطائفة الاخرى هي « ساديكيم » Tsaddikim « العادلون » وتعتبر هذه الطائفة ان بعض الكهنة يمتلكون قدرات سحرية خارقة . وتمارس نشاطاتها بين اوساط الجاليات الاتية من البحر الابيض المتوسط الا ان نفوذها مايزال محدودا ومقتصرا على عدد معين من الافراد الجالية اليهودية .

■ المنظمات الثقافية والاجتماعية

اما المنظمات ذات الطابع الثقافي والاجتماعي فلاتختلف عن المنظمات الدينية والسياسية .. وابرزها « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » le fonds social Juif unifie اسسه روتشيلد عام ١٩٤٩ . وهي مؤسسة ذات طابع ثقافي ـ اجتماعي تعمل على تنسيق حياة الجالية اليهودية وتمول عددا كبيرا من المؤسسات والتنظيمات الاخرى وقد تعدى دورها دور « تجمع الكهنة اليهودي » آنف الذكر ، لان الصندوق الاجتماعي يشمل ميادين اكثر سعة ويعتبر تأسيس هذا الصندوق الاجتماعي الصهيوني المرامي والاهداف ، انعطافا في تاريخ المنظمات اليهودية الفرنسية في الوقت الحاضر . ولم تستطع الجالية اليهودية ان تستمر في الحياة لولا مساندة المنظمات الاجتماعية والخيرية والتعويضات الالمانية على اعقاب الحرب العالمية الثانية . ويعود السبب في توسيع نشاطات هذه المنظمة الى رغبتها في تجاوز الميدان الديني البحت والاخذ بعين الاعتبار ضرورة احترام الميول العلمانية عند افراد الجالية اليهودية . وفيما بعد قرر الصندوق توحيد التبرعات

المالية على شكل منظمات صغيرة متعددة . ويشـرف هذا الصنـدوق على جمـع التبـرعات لمسـاعدة الكيـان الصهيوني كلمـا تعرض الى الهـزات الاقتصاديـة والسياسية . ويعمل كذلك على مساندة المنظمات اليهودية الفرنسيـة على كـافة اشكالها وميولها . كما تم توحيد فرع التبرع وانبثاق منظمة اخرى من داخل هذا الصندوق اطلق عليها « منظمة النداء الموحد من اجل اسرائيل » Appel unifie pour Israel ومن خلال المنظمين انبثقت منظمة تسمى بـ « النداء الموحد ليهود فرنسا » Appel unifie Juif de france ويقوم هذا الجهاز بتقسيم التبرعات بين الكيان الصهيوني والجالية اليهودية الفرنسية وقد اثار ذلك احتجاجات واسعة بين اوساط الجالية اليهودية فقد ينادي البعض بضرورة منح كل التبرعات للكيان الصهيوني بينما يدعو البعض الاخر الى تخصيص جزء كبير من هذه التبرعات من اجل تحسين حياة الجالية اليهودية في فرنسا .

ومنذ السنوات الاولى لتـأسيسه ، وحّـد الصندوق الاجتمـاعي اليهودي منظمات مختلفة كما اشرف على خلق نـظام طائفي واضح . واتخـذ الصندوق الاجتماعي المذكور اجراءات في تقديم العون للجالية اليهودية الجزائرية على اعقاب الاستقلال .. كما قـدم الصندون مسـاعدات هـائلة للقادمـين من المستعمرات الفرنسية الاخرى . وتمكن الصندوق ان يشرف على المنظمات الاخـرى ضمن معطيات للجالية اليهـودية الجـديدة . وهنـاك حركـات الشباب التي تنتمي الى الصندوق اضافة الى بعض المجلات كمجلة « لارش » L' Arche . ومن اهم ماأسسه هذا الصندوق « مركز راشي الباريسي » Centre Rashi de paris الذي يتميز بنشاطاته العديدة . وبالرغم من كل مايروج عن الصعوبات التي تعترض هذا الصندوق الصهيوني ، اصبح اهم جهاز تمثيلي للجالية اليهودية الفرنسية . وينتمي اغلب قادته الى النخبة الاجتماعيـة العليا في الجـالية اليهـودية .. ويتميـز الصندوق بصلابته وحزمه في اتخاذ القرارات بحيث لايمكن تقبل اي نقد او احتجاج داخل صفوفه المنظمة .

واضافة الى هذا الصندوق هناك حركات وتجمعات وتنظيمات اخرى تعد بالمئات ، تعمل باستمرار منها : « حركة الشبيبة اليهودية » المسماة بـ Dejj او « كشافة فرنسا » Eclaireurs de France امـا « اتحاد الطلبـة اليهود » فقـد شـهد انخفاضا كبيرا في عدد اعضائه وتتـوفر لدى الجـالية اليهـودية اجهـزة اخرى متخصصة في تقديم الخدمات الاجتماعية كتوفير مراكز السياحة وبيوت المتقاعدين ومراكز العطل الصيفية .

وهناك ايضا مدارس دينيةخاصة للاطفال تعمل على اعداد الاطفال اليهود حسب العادات والتقاليد اليهوديـة . وتتميز هـذه المدارس بمنـاهجها المغـايرة للمناهج السائدة في المدارس الفرنسية الرسمية والخاصة وهي تهدف بلا شك الى عزل الطلبة اليهود عن الطلبة الفرنسيين الاخرين .

اما بالنسبة للجامعات فليس هناك جامعات يهودية في فرنسا كما هو الحال في الولايات المتحدة التي تتمتع بالقدرة على منح الشهادات المعترف بها . ولابد ان نذكر بأن « المركز الجامعي للدراسات اليهودية » Centre Universitaire d' Etudes Juives الذي يمـوله الصندوق الاجتمـاعي اليهودي يقـوم بـأعـطاء دروس بمستـوى الدراسات الجامعية ..كما هو الحال في نطاق « المعهد العالمي للدراسات العبرية » Institut International d' Etudes hebraiques الخـاضع في سيـاسته « للاتحـاد اليهودي الليبرالي » . وتسعى الاجهزة الصهيونية الى تـأسيس جامعـة خاصـة تنحصر بالجالية اليهوديـة المتمركـزة في كافـة انحاء فـرنسا . واخـذت بعض المدارس الفرنسية مؤخرا تعليم اللغة العبرية الى جانب اللغات الاجنبية الاخرى .

ومادمنا نتحدث عن المنظمات الثقافية ـ الاجتماعية لابد من ذكر المكتبات المتخصصة بالموضوعات اليهوديـة والصهيونيـة مثل « مكتبـة العهد اليهـودي العالمي » Bibliotheqne de L' Alliance Israelite Universelle ومكتبة « ميديم » Bibliotheque Medem المتخصصة باللغة اليديشية ـ لغة يهود اوربا الوسطى ـ و « مركز الوثائق اليهودي Centre de Documentation الذي يهتم بالفتـرة المعاصـرة وفترة الاحتـلال

الالماني .

والى جانب كل ذلك تنظم الجالية اليهودية معارض ومهرجانات منها « مهرجان السينما اليهودية الشهير » الذي عرضت فيه مايقرب من ٨٠٠ فيلم في ثلاث صالات باريسية ضخمة . ومعرض « الحياة اليهودية في بولونيا » . وقد عملت منظمات عديدة على نشر الكتب الصهيونية منها منظمة « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » و « العهد اليهودي العالمي » وذلك من خلال دور نشر معروفة مثل دار « البان ميشيل » Albin Michel و « المنشورات الجامعية الفرنسية » Presse Universitaire de Frana PUF .. وتطورت الامور بشكل اخر بحيث اصبحت دور النشر الصهيونية مستقلة ولم تعد بحاجة للمرور من خلال دور النشر الاخرى .

ويوما بعد يوم . تزداد هذه المنظمات باطراد ، مستغلة بذلك كل الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية من اجل التغلغل ونشر افكارها المعادية لطموحاتنا وآمالنا القومية .



الفصل الثاني

اللاسامية.. سلاح الصهيونية



- ١ -

اللا سامية سلاح الصهيونية

قبل الحديث عن ظهور موجة العداء للسامية La vague antisemite وانتشارها في فرنسا لابد من الاشارة الى انها ظهرت قبل ذلك في كل من اوربا الوسطى والشرقية بالشكل التقليدي الاّ انها اخذت شكلا جديدا ، لا دينيا ، بل على الاكثر سياسياً وراديكاليا في كل من فرنسا والبلدان الغربية الاخرى . وقبل ان تتدفق على فرنسا ، ولدت معاداة للسامية بشكلها الحديث ، في روسيا والمانيا والنمسا وهنغاريا . ومن اهم العلامات البارزة في تاريخ اللاسامية نشر الكاثوليكي التشيكي روهلنغ Rohling في عام ١٨٧١ كتابه المعادي للتلمود اليهودي فقد اثار ضجة عنيفة بين الاوساط اليهودية بالرغم من احتجاجات المسيحيين المعتدلين . والعلامة البارزة الثانية ، والاكثر خطورة وفاعلية ، هي تأسيس اول حزب سياسي معاد لليهود في برلين عام ١٨٧٨ ، انشأه كل من القس ادولف ستوكر والصحافي ويلهالم مار . و « مار » هو اول من استخدم لفظة « العداء للسامية » .

اما ظهور العداء للسامية في فرنسا فقد اعقب تلك الاحداث بسنوات قليلة اذ ظهرت مع دريمون Drumont . في تلك الاثناء ، اي في عهد الجمهورية الثالثة ، لم يختف التياران التقليديان المعاديان لليهودية : لكنهما فقدا حدتهما . انتشرت هذه الفكرة بين الاوساط اليمينية والدينية . لكن العداء الذي كان منتشرا بين الاوساط البرجوازية والشعبية قد تناقص نوعا ما . لكن اصداء هذا العداء كانت ماتزال تتردد في الادب وفي الصالونات ونقاشات المقاهي . كان معظم الاشتراكيين تقريبا يضمرون العداء لعائلة روتشيلد Rothschild كما وقفوا بوضوح ضد ماسمي بالبنك اليهودي Banque Juive . لكن الازمة الحقيقية بدأت عام ١٨٦٩ وذلك بنشر كتاب ، غوجينو دي موسيو بعنوان « اليهودي ، اليهودية وتهويد الشعوب الحديثة » . Le Juif, le Judaisme et la Judaisation des Peuples modermes

في البداية لم يحدث الكتاب ضجة الّا انه اوصى فيما بعد لكثير من الكتاب ان يؤلفوا كتبا اخرى . فقد اصدر راهب يدعى « شابوتي » مجموعة من الكراريس الاستفزازية مثـل : « اللايهودي » ١٨٨١ ، « اليهـود : اسيادنـا » ١٨٨٢ ، « اليهودي .. ذلك العدو » ١٨٨٤ . ازدادت الاوضـاع خطورة في عـام ١٨٧٨ عندما افلس البنك الكاثوليكي الذي اسسه احد مستخدمي روتشيلد المدعو اوجين بونتو . الّا ان اليمين والصحافة الكاثوليكية اخذا يهاجمان اليهود شيئا فشيئا . ولابد من الاشارة هنا الى خطورة المصاعب الاقتصادية والازمة السياسية التي اجتاحت اوربا منذ عام ١٨٧٣ واثرها في تصعيد العداء للسامية .

قلنا ان موجة العداء للسامية ظهرت مع الكاتب دريمون الذي نشر كتابه في جزأين ، بعنوان « فرنسا اليهودية » Le France Juive في عام ١٨٨٦ وقد ركز فيه على ان اليهود غزوا فرنسا وعبثوا بكل شيء ، مستوحيا ذلك من الادب المعادي لليهود . وحاول في كتابه هذا ان يجمع كافة التيارات المعادية لليهودية آنذاك .

منذ عام ١٨٨٦ ، بدأت حركة معاداة السـامية تتـطور بشكل سـريع .. وخاصة عندما اخذت صحيفة « لاكروا » La Croix بشن هجومها على اليهود . في عام ١٨٨٩ ، حاول اصدقاء ، دريمون ، امثال ، موريس ، غورين ، دلاهاي ، ان يؤسسوا « رابطة اللاسامية » Ligue Antisemite الّا انها لم تجتذب الاعضاء وحالما انفرطت بعد عـام من تأسيسهـا ، وفي عام ١٨٩٢ ، اسس دريمـون صحيفته الخاصة « الكلام الحرّ » La Libre Parole لكنها لم تكن واسعة الانتشار . وخفتت موجة السامية حتى ظهرت قضية دريفوس [عرضنـا لها بـالتفصيل في مكـان سابق] ، واججت مع صعودها معاداة السامية من جديد ، وخاصة منذ اعلان وعد بلفور المشؤوم عام ١٩١٧ .

في عام ١٩١٩ ، ظهرت في كل من المانيا وانكلترا والولايات المتحدة ، وثيقة هامة بعنوان « بروتوكولات حكماء صهيون » اذ طبعت في فرنسا لأول مـرة في اعوام : ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٥ . ومضمون هذه الوثيقة عبـارة عن « خطة

استراتيجية للسيطرة على العالم ووضعه تحت تصرف اسرائيل » . حول هــذه الوثيقة ، تطور ادب بأكمله كان رواده كل من روجيه لامبيلن ، جورج باتيل ، مجر جوان .. ونشر الاخوان « تارو » قصصهم مثل « مملكة الرب » ١٩٢٠ ، « عندما تصبح اسرائيل ملكة » ١٩٢٢ . ومن بعد تصاعدت حملة معاداة السامية منذ عام ١٩٣٣ بشكـل اخر عنـد صعود النـازية للحكم في المـانيا . [عـرضنا لعـلاقة الصهيونية والنازية في مقال سابق ايضا] .

تحاول الصهيونية بشتى الوسائل والاساليب ان تستغل معاداة السامية لصالح اهدافها وخططها . وهي تفترض افتـراضات عـديدة عن خلود معـاداة السامية . تؤكد الصهيونية على ان كل شعب يكره الشعوب الاخرى ، ولكن جميع الشعوب تكره اليهود . تستغل الصهيونية ابسط الاحداث لكي تدفع باليهود الى التكتل والتفكير بالعودة الى « ارض الميعاد » . يصرح جي دي روتشيلد ، رئيس « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » ان جذر العداء للسامية يكمن في التربية اما شارل جيد فيؤكد على ان فكرة معاداة السامية لم تنبثق من فرنسا وانما جاءت من روسيا ، والنمسا ، والمانيا .. انها عبارة عن منتوج مستورد . اما الـ CRIF « المجلس الممثل ليهود فرنسا » فيؤكد في بياناته مايلي : « ان الماضي الحـديث يعلمنا كيف ان اضطهاد اليهود يعكس دائما خطرا على حريات الجميع » وتحاول الصهيونية ان تربط بين معاداة الصهيونية وماتسببها من اخطار تحدق بفرنسا قاطبة كما يؤكد الحاخام الكبير كابلان ان المقصود من خلال اضطهاد الجـالية اليهودية فرنسا بأكملها . ويتفق مع هذا الرأي الحاخام الكبير « سيرا » Sirat . تشتد هذه التصريحات خاصة بعد كل عملية ارهابية يقوم بها مجهولون كحادثة تفجير معبد كوبرنيك وشارع روزيير . بعد هذه العمليات المجهولة الهوية عملت الصهيونية على تسليح الشباب الصهيوني Jeunese Sioniste في الاحياء اليهودية . وقد صرح بيغن آنذاك بأنه على استعداد لارسال قوات من المليشيا الاسرائيلية لحماية الجالية اليهودية الفرنسية .

والاحداث التي تعبر عن معــاداة الساميــة هي بمثابــة مناسبــات لشحذ القدرات الصهيونية من جديد ، وتحريك اليهود واشعارهم بالتهديدات المحيطة بهم . يقــول اندريــه كلوكسمان « ان واضعي القنبلة انمــا يستهدفــون جسد اليهودي وروح الاوربي » .

اما سكرتير الحركة الصهيونية في فرنسا سيمون ابستمان فقد اصدر كتابــا بعنوان « اللاسامية الفرنسية : اليوم وغدا » L' Antisemitisme Francais aujourd'hui et demain يؤكد فيه على خلود اللاسامية في المجتمع الفرنسي .

منذ عام ١٩٨٠ تغيرت الاجواء التي تعمــل فيها الحــركة الصهيــونية . فالاجتماعات اخذت تعقد في الطوابق التحتية ؛ والمباني جهزت بمعدات الانذار الالكترونية .

تستخدم الصهيونية معاداة السامية لتحقيق هدفين مزدوجين ، انها من ناحية تؤكد استحالة اندماج اليهود الفرنسيين بالمجتمع الفرنسي ، ومن ناحيــة اخرى تنسب كل اعمال العنف الى منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد تنوعت معاداة السامية منذ سنوات الثلاثينات حتى الثمانينات . ففي سنوات الثلاثينات كانت تأخذ شكل المعارك الكلامية والايديولوجية فقد بدأت هذه الافكار تظهر في الجزائر والمستعمرات الاخرى علنا . اما في سنوات الثمانينات ، فقد اتخذت شكلا عنيفا من خلال التفجيرات واشعال الحرائق وعمليات القتل .

لابد اذن من الربط بين ماضي معاداة السامية وحاضرها ، لنتبين الاشكال التي اتخذتها ، وبالتالي الاساليب الصهيونية التي واجهت بها هذه الافكار . وحين نرجع الى تاريخ اللاسامية في فرنسا لابد من ذكر حادثتين هامتين ، اولها قضية دريفوس ١٨٩٤ ومقالة الكاتب الكبير اميل زولا « اني اتهم » ذلك لان موجات وحملات معاداة السامية ظهرت بعد هاتين الحادثتين . وقد طافت شوارع مدينة « نانت » ومدن فرنسية اخرى تظاهرات تهتف بسقوط اليهــود ! وقد هــوجمت المخازن في مدينة مارسيليا ، وطوق معبد مدينة « نانسي » وحدثت حالات مشابهة

في كل من رين ، وليون ، وكليرمون فيريه ، وروان . وكذلك في بوردو ومونبلييه وكان . وقد عملت الحركة الصهيونية على تنظيم اجتماعات معادية للسامية في الجزائر انذاك لكي تحقق مشروعها القاضي بترحيل اليهود الجزائريين او على الاقل بتهيئة عقولهم للهجرة وعمت اعمال العنف في كل من القسطنطينة ووهران . اما في باريس ، فعلى اعقاب محاكمة الكاتب اميل زولا ، نزلت تظاهرة كبيرة تجوب شارع ستراسبورغ وساحة الريبّبليك وشارع فولتير .

كانت تلك الاحداث عنيفة لدرجة ان مجلة امريكية تسمى The American Monthly Review of Reviews خصصت ملفا خاصة للقضية وحاورت ثلاث شخصيات بارزة : ادوارد دريمون ، المعادي للسامية ، وماكس نوردو ، الصهيوني ، واميل زولا ، الكاتب الانساني . وقد اشتهر ادوارد دريمون بكتابه « فرنسا اليهودية » La France Juive عام ١٨٨٥ الذي حقق نجاحا كبيرا في مبيعات الكتب في القرن التاسع عشر . ومن بعد الف دريمون كتابا اخر في عام ١٨٩١ سماه « وصية رجل معاد للسامية » Le testement d'un antisemite يعتبر دريمون مؤسس حركة معاداة السامية في فرنسا وقد قدم خدمات كبرى للحركة الصهيونية . وفي تلك الاثناء كان لقضية دريفوس تأثير كبير على نشوء وتبلور هذه الحركة لذا انشأ دريمون صحيفته الشهيرة « الكلام الحر » التي مر ذكرها . ففي هذه الصحيفة كتب مقالا يقول فيه : « اسمعوا الصرخات التي تتعالى من كل اطراف فرنسا ـ السقوط لليهود . انها صرخة الماضي ، بلا شك ، لكنها ايضا صرخة المستقبل » . هذا الرأي يدعم المزاعم الصهيونية التي تزعم سرمدية اللاسامية واستمراريتها في كل الازمان والعصور . اما ماكس نوردو الصهيوني الهنغاري فقد سكن في باريس وكان من اوائل من دعم نظرية هيرتزل الصهيونية وحضر المؤتمر الصهيوني الاول الذي انعقد في « بال » عام ١٨٩٧ . في هذا المؤتمر اكد نوردو ان الشعب اليهودي يعاني من البؤس المادي في الشرق ، ومن البؤس الروحي في الغرب .

وهذا بحد ذاته ليس الا دعوة لتأسيس الكيان الصهيوني الذي لايعاني فيه

اليهود من البؤس المادي والروحي ! ظهرت اللاسامية ، بشكلها الجديد ، في كل من فرنسا والمانيا حيث تحرر اليهود منذ فترة طويلة لارتباط تحررهم بالحركات الثورية التي حدثت في هذين البلدين . لذا فأن اللاسامية كانت بدورها تغذي الحركة الصهيونية مؤكدة بأن اللاسامية القديمة مابرحت تصب في قوالب جديدة فقد اكد ماكس نوردو في المؤتمر الصهيوني الثاني المنعقد ١٨٩٨ : «ان قضية دريفوس تشكل انذارا ودرسا لجميع اليهود الذين يعتقدون انهم قبلوا، بطريقة نهائية، للعيش في كنف شعوب اخرى ، ذلك يعطي القضية اهمية خاصة في التاريخ اليهودي فقد اكسبه قيمة تربوية تعبر عن صرخة انذار ويقظة من عقاب. »اما في المؤتمر الصهيوني الثالث المنعقد عام ١٨٩٩ ، فأن نوردو يفصل الحلول الثلاثة لمكنة للمشكلة اليهودية . الاول التغيير الجذري للطبيعة الانسانية . الحل الثاني ان يتوقف اليهود في ان يصبحوا يهودا . ثم يقول بما ان الحل الاول طوباوي (خيالي) والحل الثاني غير مقبول اذن لابد من التسليم بالحل الثالث وهو تجميع اليهود في وطن تاريخي . بعد ذلك يؤكد نوردو « ان تاريخ اليهود سواء في فرنسا او بقية البلدان الاخرى ليس الا تراكما من الدماء والمعاناة » .. هكذا ولدت الحركة الصهيونية في رحم اللاسامية التي روجت لها هذه الحركة سنوات طويلة .

اما الروائي الشهير اميل زولا فقد انتقد في رسالته الموجهة لرئيس الجمهورية انذاك استغلال قضية دريفوس بهذا الشكل العنصري ـ العرقي . وقد اضطر الكاتب ان يعيش في منفاه في لندن لسنوات طويلة . الا ان المعادين للسامية كانوا ينظمون التظاهرات التي رفعت شعارات « يسقط زولا » و « الموت لليهود » . هذا هو خلاصة اللاسامية في فرنسا اثناء القرن التاسع عشر .

في السنوات الاخيرة ، اشتدت موجة العداء للسامية التي تؤججها الحركة الصهيونية في فرنسا بحيث تعمل على اختلاق مطبوعات تهدد المعابد اليهودية ، والخطباء ، والكهنة المسؤولين ، وعلى الخصوص في الاعياد والاحتفالات الدينية اليهودية ، وتخلق حالة من الذعر والخوف وتنشر الحرس المسلحين بالتعاون مع

رجال الشرطة الفرنسية .

وتنشر الصحف والمجلات الصهيونية على الدوام مقالات ولقاءات وتحقيقات حول اللاسامية اذ تعتبرها واحدة من هم ركائزها . وتكشف ملفات المخابرات الفرنسية العامة عن هذه العمليات كما نشرتها الصحيفة الشهيرة Le Canard Enchaine عام ١٩٨٠ فقد احصت (٢١) عملية تفجير معادية للسامية في عام ١٩٧٨ و ٩٢ اخرى في عام ١٩٧٩ . كما تشير تقارير « لجنة الحسابات » Commission du Bilan التي تشكلت اثناء انتخابات الرئيس فرانسوا ميتران ، ان عام ١٩٧٥سجل (٥٣) عملية معادية للسامية ، وفي عام ١٩٧٦ (٦٨) عملية ، وفي عام ١٩٧٧ (١١٢) عملية ، وفي عام ١٩٧٨ (١٢٦) عملية ، وفي ١٩٧٩ (١٧٥) ، وفي عام ١٩٨٠ (٢٣٥) عملية .. اي ان مجموع العمليات من عام ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ يقارب ٧٦٩ عملية .

ان اسرائيل هي المستفيدة الاولى من كل عمليات اللاسامية التي تقوم في فرنسا .. فعلى اعقاب تفجير المطعم اليهودي في شارع روزيير عام ١٩٨٢ ، دعا بيغن ، كما اسلفنا ، الشباب اليهودي الفرنسي الى تنظيم نفسه ورص صفوفه . وهو يعني بذلك كافة يهود فرنسا .

كما نشرت مجلة « منيت » Minute اخبارا تشير الى ان آلافاً من الشباب اليهودي يقوم بأجراء التدريبات السرية في انحاء باريس . لقد روجت الصهيونية مسألة الدفاع الذاتي autodefence وهيأت روادها للمواجهة . وبعد تفجير معبد كوبرنيك عام ١٩٨٠ ، ظهرت تنظيمات عديدة منها « التنظيم اليهودي للدفاع » Organisation Juive de Defence وذهبت الصهيونية الى ابعد من هذا الحد حيث دربت ٣٠٠ شاب يهودي على الكراتيه . وهناك مجموعة من الشباب اليهودي جمعت في ذخيرتها ٣٠٠ هراوة حديدية و ٢٠ مسدسا .

بعد احداث التفجير اعلن غي دي روتشيلد ، رئيس « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » قائلا « اننا لسنا وحيدين » . ويقصد بذلك ان اسرائيل والقوى

الرجعية الفرنسية تدعم الصهيونية . الافكار نفسها ظهرت عام ١٩٧٩ على اثر تفجير المطعم الجامعي اليهودي « ميديسيس » Medicis في الحي اللاتيني ، وذلك على لسان « الهيئة اليهودية للعمل » Comite juif d'action ، كالعبارة التالية « ان تكون يهوديا يعني ان تكافح وتحارب » . وبعد فترة وجيزة من هذه الحادثة ولدت المنظمة الصهيونية المعروفة بـ « انبعاث اليهودي » Renouveau juif .

تعتبر الحركة الصهيونية الفرنسية اللاسامية احد شروط وجودها وديمومتها ، بل عاملا اساسيا في ظهورها . معاداة السامية ، في فرنسا ، اخذت اشكالا متعددة دينية وقومية وعصرية . وهي مرتبطة ، بلا شك ، بالثقافة الغربية . ان الصهيونية ترى في العداء للسامية ظاهرة طبيعية . فالدعاية الصهيونية تحاول على الدوام ان تخلق العداء للسامية عن طريق تضخيم الاحداث الجانبية كما فعلت مع احداث التفجيرات في باريس . يؤكد « المجلس التمثيلي ليهود فرنسا » CRIF ان معاداة السامية في فرنسا ليست في حالة تناقص بل على العكس ، في حالة ازدياد وخاصة بين صفوف الاجيال الجديدة .

ان ماتثيره معاداة السامية من ردود فعل عند اطراف الحركة الصهيونية هي التعبئة والعمل .

في نهاية المطاف ، اللاسامية والصهيونية من اختلاق الغرب .. وينسجمان في الوظيفة والهدف .

- ٢ -

قضية دريفوس (١٨٩٤ - ١٩٠٦)

تحتل « قضية دريفوس » L'affaire Dreyfus مكانة متميزة في عملية صياغة النظرية الصهيونية السياسية اذ اكد مؤسسها الشهير ، تيودور هيرتزل ، انه استوحى اسس نظريته من هذه القضية والتي تمخضت عن النتائج التالية :

١ - يشكل اليهود في كل بلدان العالم ، وايا كان البلد الذي يعيشون

فيه « أمة » واحدة .

٢ ـ كان اليهود في كل زمان ومكان هدفا للاضطهادات .

٣ ـ لايمكن لليهود ان يندمجوا في نسيج اية امة يعيشون فيها .

واهم ماتوصل اليه هيرتزل في صياغة نظريته الصهيونية فيما بعد :

اولا ـ رفض الاندماج ، ولم تكن دول شرق اوربا ، وخاصة الامبراطورية الروسية تبيحه لليهود في الوقت الذي بدأت في تحقيقه دول غرب اوربا .

ثانيا ـ انشاء دولة يهودية يتجمع فيها كل يهود العالم ونبذ فكرة اقامة « وطن روحي » ومركز اشعاع للدين اليهودي والثقافة اليهودية .

ثالثا ـ ينبغي انشاء هذه الدولة في مكان « شاغر » وهي فكرة مميزة للاستعمار السائد في ذلك العهد ومعناها عدم اقامة اي اعتبار للسكان الاصليين .

لابد قبل البدء ، بالحديث عن هذه القضية وملابساتها ، من القاء بعض الضوء على التسلسل التاريخي لهذه القضية ، ليكون مدخلا لمناقشة أثرها في صعود الصهيونية وتبلورها .

١٨٩٤ :

٢٤ آيلول : سلمت خادمة ، تعمل في السفارة الالمانية ، وثيقة الى المخابرات الفرنسية ، عرفت بأسم « اللائحة » bordereau تدل بشكل قاطع على

ان ضابطا فرنسيا سلم وثائق تتعلق بالمدفعية الى المانيا .

١٤ تشرين الاول : يصدر وزير الحرب ، الجنرال ميرسييه ، امرا بتوقيف الكابتن دريفوس ، بحجة تشابه خط يده مع خط كتابة الوثيقة السابق ذكرها ، في الخامس عشر من الشهر نفسه يلقى القبض على دريفوس .

١٠ تشرين الثاني : تنشر صيحفة « الكلمة الحرة » Libre parole خبر القاء القبض على دريفوس .

١٩ ـ ٢٢ كانون الاول : محاكمة الكابتن دريفوس وصدور الحكم بتجريده من رتبته العسكرية ، ونفيه نفيا مؤبدا الى جزيرة « الشيطان » .

١٨٩٥ .

٥ كانون الثاني : مراسيم تنحية رتبة دريفوس في ساحة المدرسة العسكرية بينما يطالب هو ببراءته . يصرخ الجمهور المحتشد « الموت لليهودي » !!

١٣ نيسان : يصل دريفوس الى جزيرة « الشيطان »

١ تموز : يعين « بيكار » رئيسا لقسم المخابرات ، ويكلف رسميا بمتابعة ملف دريفوس .

١٨٩٦ :

آذار : اكتشاف رسالة غير مبعوثة ، عنونها الملحق العسكري في السفارة الالمانية ، وموجهة الى القائد ايسترهازي . يكتشف « بيكار » ان خط كتابة « اللائحة » يتشابه مع خط يد ايسترهازي . بعد الاطلاع على وثائق عملية ١٨٩٤ ، تبين بأن الاتهامات التي وجهت الى دريفوس لا اساس لها . وبعد الاطلاع على الوثيقة السرية ، الموجهة الى المحاكمة للتداول لا للدفاع ،

تحمل عنوان « هذا الحقير دريفوس ..... » ، تستمر في رسالة من الملحق العسكري الايطالي ، بانيزاردي في شفارتزكوبن .

٥ آب : يعلم « بيكار » رسميا الجنرال بواديغير ومن بعد في ٢ ايلول الجنرال غونز .

٣ ايلول : تكشف صحيفة « لكلير » L'Eclair بعض خفايا عملية ١٨٩٤ ، وعلى الخصوص ، وجود الوثيقة السرية « هذا الحقير دريفوس ..... »

١٤ ايلول : اخبار كاذبة عن هرب دريفوس .

٢٦ تشرين الاول : يتظاهر « بيكار » اكثر فاكثر الحاحا في الامر ويرسل في مهمة الى الشرق ، ومن ثم الى الجزائر وتونس ، ويغيب عن باريس اكثر من عام . ثم يكتبهوصيته التي تحتوي اكتشافاته المفترض ان يفتحها رئيس الجمهورية في حالة وفاته .

٦ تشرين الثاني : نشر كتيب لبرنار لازار بعنوان « محاكمة خاطئة .. الحقيقة حول قضية دريفوس . »

١٨٩٧ :

١٣ تموز : « ليبلوا » ، صديق « بيكار » يأتمن الى شيرير كيستنر ، نائب « مجلس الشيوخ » الفرنسي Senat .

١٥ تشرين الثاني : ماتيو دريفوس يشهر بـ « ايسترهازي » .

١٨٩٨ :

١١ كانون الاول : ايسترهازي الذي طالب باجراء المحاكمة ، يقال من منصبه .

١٣ كانون اول : ينشر اميل زولا مقالته الشهيرة « اني اتهم » J'accuse في صحيفة « الاورور » L'Aurore .

٢٠ شباط : تكوين لجنة للدفاع عن حقوق الانسان !

٢٣ شباط : يحكم زولا بالسجن والاشغال الشاقة مدة عام كامل .

٢٦ شباط : اعفاء « بيكار » من منصبه .

١٢ تموز : توقيف ايسترهازي .

١٣ تموز : توقيف بيكار .

١٨ تموز : حكم جديد يصدر بحق الكاتب اميل زولا .

٣١ آب : القاء القبض على القائد هنري التابع للمكتب الثاني لتزويره « الوثيقة السرية » .

٢٥ تشرين الاول : طلب لوسي دريفوس بأجراء استفتاء حول القضية من جديد . وقد تم قبول الطلب .

١٨٩٩ :

٣ حزيران : اصدار قوانين جديدة واعادة النظر في الاحكام .

٦ حزيران : دريفوس يغادر جزيرة « الشيطان » .

٧ آب : نقاش حاد حول عملية « رين » .

٩ ايلول : حكم جديد بحق دريفوس .

١٩ ايلول : يعفى عنه .

١٩٠٠ :

٢٤ كانون الاول : التصويت على قانون العفو Amnistie .

١٩٠٦ :

١٢ تموز : تصدر محكمة التمييز قانونا « تكسر » فيه قانون المجلس الحربي في « رين » دون الغائه .

١٣ تموز : يعاد كل من دريفوس وبيكار الى صفوف الجيش .

٢٠ تموز : يمنح دريفوس وسام الشرف

١٩٣٥ :

١١ تموز : مات الفريد دريفوس .

١٩٤٥ :

١٤ كانون الاول : ماتت زوجته لوسي دريفوس .

كان العداء للسامية هدفا من وراء اثارة قضية دريفوس اذ انها حرضت اليهود على اتخاذ مواقف صارمة ازاء احوالهم ، خاصة وان الاوساط الرجعية ارادت ان تثير نعرة العداء للسامية مثيرة بذلك مسألة اندماج اليهود في المجتمعات الاصلية فقد ظهرت اولى اشارات العداء للسامية في الاتهام الذي وجه الى دريفوس . بيد ان العناصر المعادية للسامية كانت تعبر عن نفسها في الجيش الفرنسي . بهذه المناسبة ظهرت مفاهيم معادية للسامية مثل ان « اليهودي وحده قادر على الخيانة » . ومن بعد ذلك ظهرت مشاعر العداء للسامية في تنحيته من رتبته العسكرية في الخامس من كانون الاول ١٨٩٥ ، وكان تيودور هيرتزل ، مؤسس الصهيونية العالمية ، يتابع تلك التظاهرة لتغطيتها في الصحيفة « الفينية » « الصحافة الحرة الجديدة » Neue freie Presse اذ كان حينها مراسلا لها في باريس . وقد تأثر هيرتزل لمشاهدته « الحشود التي تهتف بشعارات معادية للسامية » . وقد استوحى نتيجة من ذلك كتابة مؤلفه الصهيوني الشهير «الدولة اليهودية» Etatjuif أساس الصهيونية السياسية . تدعي الصهيونية ان نشر مقالة « اني اتهم » لزولا في كانون الاول من ١٨٩٨ كانت سببا في قيام تظاهرات في كل من باريس ، ونانت ، وبوردو والمدن الفرنسية الاخرى . كذلك في الجزائر في منتصف عام ١٨٩٧ . كما عملت المنظمات اليهودية على حث اليهود على القيام بمظاهرات ضد موجة العداء للسامية في فرنسا والجزائر . ودعا زادوك كان ، الى خلق « منظمات خاصة » لمكافحة العداء للسامية . تعتبر الصهيونية احداث قضية دريفوس اول محاولة من اليهود لايقاف عملية الاندماج والانصهار في المجتمع الفرنسي . وعلى اعقاب هذه الاحداث ظهر الادب اليهودي الصرف ، وكان من رواده اندريه سبير ، إيدموند فلبج .

منذ عام ١٩٠٦ ـ ١٩١٨ حصل انحسار في مشاعر العداء للسامية لكن وثيقة

« محضر حكماء صهيون » Protocoles des sages de sion كانت تتداول في فرنسا . ومن الصحف التي خلقتها المنظمات اليهودية « الكلام الحر » Libre Parole التي اخذت تخفف من حدة عدائها للسامية ومن بعد استولت عليها .

« العمل الفرنسي » Action francaise حركة فوضوية تأسست عام ١٨٩٨ ، قادت مظاهرات عنيفة في الشارع الفرنسي في كانون الاول ١٩٠٧ بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لتنحية دريفوس من رتبته العسكرية .

لو نلقي نظرة خاطفة على ادب هذه المرحلة التي صاحبت « قضية دريفوس » ، نلاحظ ظهور مايسمى بتيار العداء للسامية الذي كان بلا شك في صالح الصهيونية العالمية . والموضوعات التي طرحت آنذاك هي : المؤآمرة اليهودية ضد العالم المسيحي ، المجتمعات السرية واليهود ، التجسس اليهودي الالماني منذ قضية دريفوس ، الارهاب اليهودي ، الغزو اليهودي ، الجريمة الشعائرية ، وغيرها من الموضوعات المثيرة التي مهدت الطريق امام ظهور الصهيونية السياسية . ابرز الكتاب هم : لوي داست ، ايربين جوهير ، ادوارد جوبير ، البرت مونيو ، ليون دوديه . وعند عشية الحرب العالمية الاولى ظهرت قوائم احصائية لليهود في الجيش ، وسلك القضاء ، والادارات المتنوعة ، وفي الطبقات العليامن المجتمع الفرنسي .

كانت الصهيونية على اتم استعداد لاعادة اثارة قضية دريفوس في كل لحظة ، ففي عام ١٩١٢ ، عندما لم تمنح الاكاديمية الفرنسية جائزة « الغونكور » Goncourt الادبية للكاتب اليهودي جوليان بيندا ، كتب الى دانييل هالفي قائلا : « اذا شئنا ان نعيد قضية دريفوس فاننا على اتم استعداد لبعثها من جديد » .

ولعل اهم ما استخلصته الصهيونية العالمية من « قضية دريفوس » استمرارية مشاعر العداء للسامية Antisemitisme انها حسب الدعاية الصهيونية تعتمد على اسس طبيعية ، ملخصها : كل شعب يكره الشعوب الاخرى ، ولكن جميع الشعوب تكره اليهود على الاخص . وقد اكد هرتزل ان « الشعوب التي

نعيش وسطها تكرهنا جميعها اما سرا واما علنا .» وذهب بينسكر الى ابعد من هذا الحد عندما قال : « بما اننا نعتبر الكره لليهود مرضا شيطانيا وراثيا يعانيه الجنس البشري .. فأنه يتعين علينا ان نستخلص لانفسنا استنتاجا مهما مفاده انه يجب العدول عن النضال ضد هذه الميول العدائية كما نعدل عن النضال ضد الميول الوراثية على اختلافها . »

فالعداء للسامية عامل اساسي في ظهور الصهيونية . عندما استفحل وشعر اليهود بضعف صلتهم بالبلدان التي يعيشون فيها ، انبثقت الصهيونية كرد فعل . وقد ظهر هذا العداء في الغرب ، وكذلك الصهيونية . وان اهم ما يغضب الصهيونية ان ترى الجالية اليهودية في حالة جيدة.هناك صلة عضوية بين الصهيونية والعداء للسامية .

لقد اثرت « قضية دريفوس » على مجمل الاحداث الاجتماعية والسياسية في فرنسا ، وكان اثرها كالهزة التي خلفت اثارا امتدت لكي تؤثر على الاجيال اليهودية التالية كما عبر عن ذلك الشاعران هنري فرانك واندريه سفير بقولهما : « ان جيلا بأكمله ولد تحت اثار قضية دريفوس وطنجة . » !

اما صحيفة « الارشيف اليهودي » Archives Israelites فكتبت في ٢٦ تموز عام ١٩٠٦ قائلة : « مهما كانت قضية دريفوس ، فانها انتهت بالنسبة لليهود لكن نتائجها جعلتنا نحبها اكثر فاكثر ، واذا كان من الممكن تسميتها ، فنقول انها بلدنا العزيز » .

من يتمعن في تفاصيل التسلسل التاريخي لاحداث هذه القضية يلاحظ انها لم تبدأ مع ادانة دريفوس في عام ١٨٩٤ رغم التظاهرات التي صاحبت تنحيته من الرتبة العسكرية . فالتوتر لم يصعد شيئا فشيئا الا بعد تسرب الانباء الخاطئة وهرب دريفوس في ٣ ايلول ١٨٩٦ ونشر الوثيقة السرية الرابع عشر من ايلول ان القضية قسمت الرأي العام الفرنسي ، وبدأت الفتنة بعد عزل « ايسترهازي » ونشر مقالة اميل زولا « اني اتهم » في كانون الاول ١٨٩٨ .

ان « قضية دريفوس » اشبه ماتكون بالمسرحية التي تم اعدادها من وراء الكواليس ، واختير لها زمن العرض على مسرح خصب هو المسرح الفرنسي . فالدوائر التي نسجت خيوط هذه المسرحية « الوهمية ـ الواقعية » انما كانت تهيىء الارض وتحرثها لرأس كبير هو ... تيودور هيرتزل الذي الف نظريته الصهيونية عام ١٨٩٧ اي بعد ثلاثة اعوام على مرور « قضية دريفوس » ذائعة الصيت .

- ٣ -

الصهيونية والنازية

قبل البدء بهذا الموضوع لابد من التأكيد على ان القتل الجماعي الذي ارتكب ضد اليهود هو امر يتعلق بالتاريخ الاوربي ، وعار يلحق بالنازيين . ومحاولة التكفير عن ذلك على حساب العرب الذين لم تكن لهم صلة بالموضوع هو محاولة استعمارية تماما اريد اخفاؤها بأختراع اسطورة عن الاستمرار التاريخي بين اسرائيل القديمة وبين دولة اسرائيل الحالية .

لم يعترض الصهاينة على الخطة النازية القاضية بترحيل اليهود مما يسمى « ارض الاستيطان الالماني التاريخية » لأن ادولف ايخمان وعدهم بأن اليهود « سيقضون زمن الحرب بأمان » في غيتواتهم ، وبان الصهاينة سيشرفون على هيئاتهم الخاصة للادارة الذاتية في الغيتو ، يربون ويعيدون تربية الشبان واليهود الكبار بروح الصهيونية ، وسيهيئون اليهود على هذا النحو « للانتقال » المقبل الى الدولة اليهودية التي وعدهم النازيون بأنشائها بعد انتصار « الرايخ الثالث » .

هذه الحقائق ينبغي ان نضعها نصب اعيننا عندما نريد معالجة علاقة الصهيونية والنازية في فرنسا .

حاولت الدعاية الالمانية المعادية للسامية ان تقنع الفرنسيين بـ « المعطيات العلمية » للصراع ضد اليهود : لهذا الغرض انشىء في آب ١٩٤١ « معهد

دراسات المسائل اليهودية » . باشراف البروفسيور كلاسين . كما عملت السفارة الالمانية في سبتمبر ١٩٤١ على تخصيص ٢٠٠ الف فرنك لافتتاح معرض بعنوان « اليهودي في فرنسا » . والغرض من كل تلك المحاولات زرع الكراهية في نفوس الفرنسيين ازاء اليهود وذلك طبقا للاهداف المرسومة بين الصهاينة والنازيين من اجل البحث عن الحلول ! لم تكتف الصهيونية العالمية بذلك بل اقدمت في ليلة ٢ و ٣ اكتوبر من عام ١٩٤١ على تفجير سبعة معابد يهودية في باريس . ارتكبها رجال « الحركة الاجتماعية الثورية » .

كانت الصحافة الفرنسية ابان الاحتلال النازي توجهها رقابة صارمة . وفي معظم الاحوال . كانت السفارة الالمانية تعطي ارشاداتها وتعاليمها . وخاصة فيما يخص المشكلة اليهودية التي احتلت مكانة هامة سواء في الصحافة او في مؤتمرات وزير الاعلام النازي « غوبلز » الصحفية منذ بداية الحرب . اما ابرز الصحف التي كانت مهتمة بنشر افكار معاداة السامية فهي « الصباح » « le Matin » في كل مكان » « je suis prtout » النداء » « L'Appel . و » العمل الفرنسي » « L'Action Francaise كانت هذه الصحف تهلل لعمليات ايقاف اليهود وسجنهم مستخدمة بذلك ابشع الكلمات العنصرية . وحكومة فيشي . كانت تساهم في شن حملات العداء للسامية فقد القت مسؤولية اندحار حزيران عام ١٩٤٠ على الرجال السياسيين ذوي الاصول اليهودية .

عملت الصهيونية على انشاء صناعة كاملة للاوراق المزورة . بالتعاون مع بعض الموظفين في الادارة الفرنسية . من اجل الا يلتحق بعض اليهود وخاصة الصهاينة منهم بجبهات القتال ضد النازية . وهذه التزييفات كانت تقوم بها منظمات المساندة اليهودية . وحركات المقاومة . والشخصيات الدينية في آن واحد . وكانت تسعى للحصول على بطاقات التموين وتسجيل الطلبة في الجامعة .

عند دخول القوات الالمانية في باريس . هرب بعض قادة المنظمات اليهودية وبقي القسم الاخر امثال ليو كلاسير . ودافيد رابوبورت . ودافيد اوكس ...

بطبيعة الحال ، لم يبق امام غالبية اليهود الا الهجرة امام المؤامرة الصهيونية ـ النازية القاضية بأضطهاد اليهود والمرسومة مسبقا من وراء الكواليس . ولم تمنع حكومة فيشي الفاشية آنذاك هجرة اليهود حتى بعد احتلال المنطقة الحرة ، لكن بشرط العثور على البلدان المضيفة ، والحصول على تأشيره الدخول والنقود . وعملت الصهيونية العالمية ، بتنسيق سري للغاية ، مع الحكومات الغربية على منع دخول اليهود اليها لكي تفكر بالحل البديل الا وهو الهجرة الى فلسطين او على الاقل جعل اليهود الفرنسيين يفكرون بالهجرة اليها . ومنذ تموز عام ١٩٤١ ، كان الدخول الى الولايات المتحدة لايتم الا بالحصول على موافقة واشنطن . فاضطر اليهود للهجرة الى كل من المكسيك وكوبا وسان ـ دومنيك . فالبلدان الاوربية التي تتباكى الان على مصير اليهود كانت المسؤولة الوحيدة عن كل الاضطهادات والقتل الجماعي وعمليات المحاصرة . ولم يكن للحكومات العربية آنذاك ، رغم عمالة معظمها وارتباطاتها بالاستعمار ، اي دور في التضييق على اليهود العرب هناك . واكبر دليل على ذلك ان حكومة فيشي النازية هي التي كانت تمنح تأشيرة الخروج ، وكانت سلطات الاحتلال الالمانية تضع كل العراقيل امام الرحيل على ظهر السفن المحايدة واجبرتهم على دفع الاجور بالدولار . في عام ١٩٤٢ ، اصبحت الهجرة الرسمية مستحيلة تقريبا . هكذا كانت النازية والصهيونية تتعاملان مع اليهود اما الجنرال ديغول فقد وقف ضد كل التشريعات المعادية لليهودمؤكدا بذلك « ان القوانين القاسية الموجهة ضد اليهود الفرنسيين ليس لها وسوف لا يكون لها اية شرعية في فرنسا الحرة « وهذه القوانين انما تعتبر ضربة ضد شرف فرنسا وظلما بحق مواطنيها اليهود . » وفي عام ١٩٤٢ وجه الجنرال ديغول نداءً الى رئيس « المؤتمر اليهودي العالمي » ، في نيويورك ، مؤكدا له ثانية « ان للقرار الشهير حول تحرير يهود فرنسا نفس اهمية اعلان حقوق الانسان والمواطنة النافذ دائما ولايمكن لرجال فيشي ان يلغوه . »

ان حملة فيشي بالتعاون مع النازية كان هدفها ابادة اليهود بحجة انهم

اجانب ، وفي الوقت ذاته كانت تبدي تعاطفها مع اليهود الفرنسيين . ان عمل حكومة فيشي يمكن اعتباره عملا لا ساميا وذلك من خلال وضعه كل المؤسسات الحكومية تحت تصرف النازية آنذاك .

التعاون بين النازية والصهيونية اثبتته الدلائل والوثائق التاريخية ، يؤكد هارولد هو سكينز ، مبعوث الرئيس الامريكي روزفلت ، المكلف في عام ١٩٤٣ ، لاجراء جولة استطلاعية في الشرق الاوسط قائلا : « من الشائع والمعروف ان ـ للهاغاناه ـ ، المنظمة اليهودية العسكرية السرية ، مخازن سرية للرشاشات وللاسلحة الصغيرة ، كما ان لديها مخططات جاهزة للقتال ، اشترت ـ الهاغاناه ـ الكثير من اسلحتها من قوات ـ الفيشي ـ في سوريا وهربته في السنتين الاخيرتين الى فلسطين . » لقد استفادت النازية من الصهيونية ومن كل الصراع القائم آنذاك ومن هنا يضيف هوسكينز قائلا : « ان اثارة الاقتتال بين العرب واليهود هو احد الاهداف الرئيسية للدعاية النازية في هذه المنطقة . وتعمل الدعاية النازية على توقيت الاقتتال بحيث ينفجر عندما تكون القوات الحليفة غير قادرة على فرز عناصر كافية منها لمعالجة الوضع في فلسطين . علاوة على ذلك ، اصبحت الدعاية النازية ذات فاعلية كبرى لانها تقلل من اهمية المصالح النازية في الشرق وتؤكد للعرب ان انتصار الحلفاء سوف يفضي حتما الى قيام دولة يهودية في الاراضي الفلسطينية . »

ولقد غيرت سنوات الحرب الست ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ كثيرا من ملامح اليهودية الفرنسية اذ تضافرت عوامل عديدة في صالح الصهيونية منها : معاداة السامية التي تبنتها الدولة آنذاك بالمشاركة مع الجستابو والبوليس الفرنسي والمنظمات الصهيونية المتطرفة .

مما لاشك فيه ، ان سنوات الحرب خلقت اوضاعا مختلفة تماما عما سبق بالنسبة ليهود فرنسا والمغرب العربي .فقد صدر عام ١٩٢٧ ، قانون كريميو القاضي بمنح الجنسية الفرنسية الى اليهود الجزائريين . كما تأسس فيما بعد أي

في عام ١٩٤١ ، مكتب مفوض عام يهتم بالمسائل اليهودية اي بالاحرى يعمل على تطبيق القوانين المعادية لليهود . وقد تشكلت هذه المكاتب على غرار المجالس اليهودية judenrat التي اسستها النازية في جميع انحاء اوربا . تنوعت اساليب اللاسامية في هذه الحقبة ، وعلى الخصوص في المناطق المحتلة .. كمنع امتلاك جهاز الراديو ، او التلفون ، او حمل النجمة الصفراء ... الخ

اما القرار الذي اتخذه « مؤتمر وانسي » Conference de wannsee لحل المشكلة اليهودية فهو النفي الجماعي لليهود ، تعاونت على تنفيذه اطراف عديدة منها البوليس الفرنسي والسلطات الالمانية والقوى الصهيونية . في عام ١٩٤٢ ، اوقف البوليس الفرنسي مايقرب من ١٩ الف يهودي اجنبي ، ومنهم شخصيات بارزة امثال جورج مانديل ؛ جان زي ، فكتور باش

من الصعوبة البالغة ان نوجز هذه الفترة ، وعلى الخصوص بما يتعلق بالمشكلة اليهودية ، اذ تشير الوثائق بأختفاء مايقرب من ثلث يهود فرنسا ، ذهب ٩٠ الفا منهم الى معسكرات النازية ، و١٠ الاف ماتوا في مناطق متفرقة . هذه المعلومات ليست اكيده مائة بالمائة الا ان جزءا منها يقترب من الحقيقة . فالابعاد المتوخاة من وراء هذه العمليات كانت واضحة وهي تهيئة اليهود لايجاد مايسمى بـ « الوطن القومي » . انها جزء من اللاسامية الاوربية التي توافقت بشكل تام مع الاهداف الصهيونية .

وقد نفذت الدعاية المعادية لليهود بفرنسا بشكل سريعاً اذ باشرت عملها بعد مدة وجيزة من الاحتلال واطلق على ذلك « بروبوكاند ابتلنك » Propagande Abteilung المنبثق عن وزارة الاعلام ودعاية الرايخ الثالث . ولعل المعرض الشهير « اليهود وفرنسا » الذي نظم في الخامس من ايلول عام ١٩٤١ خير دليل على ذلك وقد اظهر هذا المعرض ، الذي نظمته السفارة الالمانية في فرنسا انذاك ، اللاسامية بكل اشكالها جاعلا من اليهود المسؤول عن كل المساوىء والمظالم . وهذه فكرة نرفضها نحن ذلك لاننا لانعادي اليهود كدين وثقافة وانما نعادي الحركة

الصهيونية التي اوجدها الاستعمار . ويشبه هذا المعرض الى حد بعيد المعارض التي نظمت في كل من برلين وميونيخ وروما وقد ذهب المشرفون على هذا المعرض الى حد دفع اموال معينة للزائرين . لم يبق المعرض في باريس وحدها اذ راح يتنقل في المدن الفرنسية الكبرى . اما من الاصدارات الصحفية فيمكننا ان نذكر عدة مطبوعات منها « الدفتر الاصفر » Cahier Jaune والمسألة اليهودية في فرنسا والعالم » . ابتداء من عام ١٩٤٣ ، بدأت الحملة الدعائية المعادية لليهود تأخذ حجما اكبر وانتشرت على جميع الاصعدة اذ انتقلت هذه الحملة الى الاذاعات ومن هذه الاذاعات نذكر « راديو ـ باريس » Radio — Paris والاذاعة الوطنية Radiodiffu-sion nationale فقد نظمتا برامج خاصة حول المسألة اليهودية . لقد ارادت النازية والمتعاونون معها من الصهاينة ان يضعوا العنصرية اللاسامية في اطار علماني ، واسسوا لهذا الغرض معاهد ومدارس ، على سبيل المثال « المعهد الانثروبولوجي ـ السوسيولوجي » و « معهد دراسات المسألة اليهودية والاثنوغرافية العرقية » ... وشجعوا هذه الدراسات في الجامعات الفرنسية . يضاف الى ذلك تاسيس عدد من التنظيمات التي كانت تروج للاسامية منها : « المنظمة الفرنسية للدفاع عن العرق » ، و « رابطة الصحفيين المعادين لليهود » . ان معظم هذه الدعاية ركزت على « ذنب اليهود في اشعال الحرب وانتشارها » وانهم ضد « مصالح اوربا » و« المسؤولون عن مقتل المسيحيين في روسيا » .... الخ

وعمل المسؤولون عن هذه الحملة الدعائية على اجراء « تحقيقات واحصائيات للافكار » في بداية عام ١٩٤٣ . وكان السؤال الذي ترتكز عليه هذه التحقيقات هو : هل تحب اليهود ؟ فأظهرت النتائج من الغالبية تعلن عداءها للسامية . وعبرت الاجابات عن عدائية واضحة اذ وصدوا اليهود آنذاك : بشتى الصفات مثل : المستغلين، مسببي التعاسة في فرنسا ، اللامندمجين ، الخونة ، مفسدي المجتمع ، العاملين في السوق السوداء، العابرين ، الى غير ذلك من

الشتائم . مما لاشك فيه ان هذه الاراء كانت تلقى الدعم الكامل من الحركة الصهيونية وقادتها وتفسح مجالا اكبر امام تغلغلها في الاوساط الشعبية .

اننا لانريد بهذا الصدد ان نستعرض الاحداث التاريخية التي وقعت في هذه الفترة ؛ بقدر ما نستشهد بها لتأكيد الارتباطات بين الحركة الصهيونية والنازية آنذاك او لنقل مدى استغلال الصهيونية لكل معطيات تلك الفترة ، من اجل تحقيق اهدافها التي تركزت في تهجير يهود اوربا الى ما تسميه بـ « ارض الميعاد » .

تشير الاحصائيات الى ان عدد اليهود كان في بداية الحرب مايقرب من ٣٠٠ الف ، وفي عام ١٩٤٤ فقدت الجالية اليهودية ١٢٠ الف شخص.بطبيعة الحال ؛ لم يكن جميع اولئك اليهود من الفرنسيين .. وكانت الصهيونية تجعل الفوارق بينهم واضحة ، وعلى الخصوص ازاء يهود المغرب العربي . فاذا عدنا الى التاريخ ، نلاحظ ان الجالية اليهودية الفرنسية واجهت موجات غفيرة من الهجرات وخاصة اولئك الذين وصلوا في عام ١٩٣٨ من المانيا وبولونيا . وقد عانى اليهود البولونيون اكثر من غيرهم من اليهود الاخرين وذلك بسبب فقرهم المدقع من ناحية ، وصعوبة حصولهم على بطاقات الاقامة من ناحية اخرى . وحاولت لجان عديدة مساعدة الوافدين ، وخاصة الصهيونية منها التي كان يرأسها كل من بول بانليفي ، ادوارد هيريو ، ادموند وروبرت دي روتشيلد وسلفيان ليفي ، وكاهن فرنسا الكبير اسرائيل ليفي . الا ان هذه اللجان كانت غير قادرة على استيعاب هذا العدد الضخم من المهاجرين اليهود . واشار في تلك الاثناء الكاتب الليبرالي بينجامين كريميو في « المجلة الفرنسية الجديدة » Nouvelle Revue Fransaise الى ضرورة الاعتناء بالاوضاع الانسانية لكل من يهود بولونيا وروسيا . كان العداء للسامية صارخا في تلك الايام ، فقد صرخ ليون بلوم في « اللجنة العالمية ضد اللاسامية » : « لن ارى في العالم هذه الدرجة من المعاناة واللااخلاقية التي ارى فيها اليهود الفرنسيين الذين يغلقون ابواب فرنسا امام المهاجرين اليهود من الدول الاخرى . وليس هناك من مثل في العالم يدل على ان الطمأنينه تأتي من خلال الجبن ، وهذا غير ممكن لا بالنسبة للشعوب ولا للجماعات البشرية والانسانية »

يكشف هذا القول الى حد كبير ان اليهود لايمكن ان يشكلوا امة كما تدعي الصهيونية . فالتناقضات الموجودة بين يهود الاشكناز والسفارديم واليهود الفرنسيين لم تستطع الصهيونية على استيعابها وحلها بالتالي .

لابد من الاشارة الى ان اليهود انقسموا الى قسمين في مواقفهم ازاء النازية منهم من ايدها وعلى الخصوص ، الصهاينة ، ومنهم من التحق بالمقاومة ، وخاصة من الطبقة العاملة الاجنبية . من اهم منظمات المقاومة اليهودية انذاك « الجيش اليهودي » Armee Juive و« التنظيم اليهودي للكفاح » Organisation juive de combat يضاف الى ذلك ان الصحف اليهودية ، غير الصهيونية ، كانت تدعو اليهود الى مقاومة النازية وتعمل على كشف نوايا الصهيونية .

كان هدف الصهيونية ابان فترة الحرب مقاومة حركة الاندماج في الشعوب الاوربية عن طريق اقناع يهود الدياسبورا بالتجمع لارسالهم الى فلسطين وتأسيس مايسمى جزافا « بالوطن القومي » .

ان الحرب النازية اعطت نفسا جديدا للصهيونية . ففي نهاية عام ١٩٤٤ ، بدأت الحركة الصهيونية في فرنسا تجمع الاموال ، تحت غطاء اعادة بناء المعابد المهدمة ، فحصل كل من ليون هيس ، وجي روتشيلد والكاهن الكبير جاكوب كابلان ، على اثر زيارتهم الى الولايات المتحدة ، على اموال طائلة من « الهيئة الامريكية للتوزيع الموحد » ، American Joint Distribution Comitte كما ان « المجلس الممثل لليهود » ظهر الى العمل بشكل علني اذ كانت وظيفته « الدفاع عن حقوق وحريات الجالية اليهودية الفرنسية » . كانت الصهيونية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية تقدم مساعداتها الى المنظمات اليهودية الموالية ، اما بعد الحرب فتوجهت كل المساعدات الى اسرائيل . وخطت منظمات اخرى في نفس الاتجاه مثل « هيئة الانسان اليهودي » Comite de Bienfaisance Israelite و « الهيئة اليهودية للعمل الاجتماعي والبناء » Comite juif d'Action sociale et de Reconstruction ان الوثائق التاريخية الجديدة تكشف عن التعامل الخفي بين النازية والصهيونية لان اهدافهما في نهاية المطاف تصب في مصب واحد وهي العنصرية والتمييز العرقي .

الفصل الثالث

نشاطات الحركة الصهيونية



- ١ -

تهجير اليهود الفرنسيين الى « اسرائيل »

على اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، لم يقف اليهود الفرنسيون مكتوفي الايدي ازاء ما كان يدور في ساحة الصراع العربي ـ الصهيوني . في تلك الاثناء اخذت الصهيونية تستخدم اسلحتها الدعائية من اجل تعبئة الرأي العام الفرنسي ، وتصوير هذه الحرب على انها تهديد لاسرائيل ووجودها . من علامات هذه التعبئة ، النداء الذي وجهه الكاهن الكبير « كابلان » علنيا ، يخاطب به عموم الطائفة اليهودية في فرنسا . وردود الفعل تجسدت في القيام بالصلوات العامة على اعقاب الحرب ، اضافة الى تأسيس لجنة للتنسيق ، هدفها جمع الاموال وتعبئة الشباب ، ونشر هذه الحركة في عموم فرنسا .

ولعل التظاهرة الكبيرة الصامتة المؤلفة من ٣٠ الف شخص والتي شهدها يوم الاربعاء ٣١ حزيران ؛ لاكبر دليل على تلك التعبئة الصهيونية حيث انها توجهت الى « السفارة الاسرائيلية » ومن ثم اخذت تجتاح شوارع باريس . بعد ذلك عقد المتظاهرون اجتماعا في « سيرك ديفير » Cirque d'Hiver ، اشرفت عليه كل من جمعية الصداقة الفرنسية الاسرائيلية ، والرابطة الفرنسية ـ الاسرائيلية ، والمجموعة البرلمانية الفرنسية ـ الاسرائيلية . وقد لعبت الصهيونية دورا كبيرا في هذه التعبئة سواء في الاوساط الرسمية او المدنية او الدينية الفرنسية . واكبر دليل على ذلك ماكتبه الراهب ويستفال ، رئيس الجمعية الفرنسية البروتستانتية ، الى الكاهن الكبير كابلان ، متمنيا له « احلال السلام في القدس » ! ولابد من الاشارة الى ان هذه التظاهرات لم تقتصر على باريس فحسب بل امتدت الى المحافظات الاخرى نذكر منها : تظاهرة صامتة مكونة من ٢٥ الف شخص سارت في ستراسبورغ ، وتظاهرة صامتة اخرى مكونة من ٦ آلاف شخص سارت في

تسجيل اسمائهم للتطوع لاكعسكريين بل كعمال في « الكيبوتز » . كذلك جمع الصهاينة مبالغ طائلة واودعوها في « الصندوق اليهودي الاجتماعي الموحد » F.S.J.U. و « جمعية مساعدة اسرائيل » L'Aide a Israel ووحدوا التبرعات بشكل منظم

استفادت الدعاية الصهيونية تاريخيا الى حد بعيد من اجهزة الاعلام وشبكة الوسائل السمعية ـ البصرية الفرنسية في بث سمومها الايديولوجية ولعل البرنامج الاذاعي الشهير « اسمع اسرائيل » Esoute Israel وكذلك البرنامج التلفزيوني « ينبوع الحياة » La Sourse de uie خير دليلين على ذلك .. فمن خلال الاغاني والبرامج المروجة « لمنجزات اسرائيل الاجتماعية والانسانية » تمكنت من التاثير على قطاعات واسعة من الجالية اليهودية ، وخاصة الجاهلة منها . كما عملت الدعاية الصهيونية على نشر عدد كبير من الروايات والدراسات التاريخية والكتب الفنية وتخصيص الجوائز الادبية ، من اجل الترويج للرحيل الى « اسرائيل » اذ خصص جوزيف كيسيل ، من الاكاديمية الفرنسية آنذاك كتبا عديدة للحديث عن « اسرائيل » . وكل تلك الدعاية كانت تتحرك تحت ستار « العودة الى جذور اليهودية » فقد اقام المركز الجامعي للدراسات اليهودية ومراكز صهيونية اخرى حلقات دراسية لنشر الثقافة اليهودية والعبرية في فرنسا .

ما لاشك فيه ان تأثير الصهيونية لم يتوقف عند الجالية اليهودية بل امتد الى الاحزاب السياسية الفرنسية . لتلك الاحزاب مواقفها المختلفة ازاء الصراع العربي ـ الصهيوني . بقيت احزاب معينة مثل الحزب الراديكالي ، والحزب الاشتراكي ، والوسط الديمقراطي مخلصة الى اسرائيل

بينما ذهبت الحكومة الفرنسية ، المساندة لاسرائيل سابقا ، الى قطع شحن الاسلحة عام ١٩٦٧ وخاصة طائرات الميراج التي كان يعتمد عليها الجيش

الاسرائيلي في اعتداءاته المتوالية ضد بلداننا

يتقاسم اليهود الفرنسيون وجهات نظرهم بين تيارين رئيسين : تيار الكاهن الكبير كابلان المؤيد لاسرائيل والنابذ قطعا لكل اطروحة ضدها . وبطريقة دوغمائية يطالب هذا التيار باحلال « السلام » الثابت لاسرائيل ! الا ان عددا من مثقفي هذا التيار وقفوا رغم ذلك الى جانب الفلسطينين والمقاومة العربية . يتوزع هذا التيار بشكل خاص بين اوساط الطلبة وعلى اثر احداث الطلبة عام ١٩٦٨ ، حصلت مصادمات عنيفة بين الصهاينة ـ الاشتراكيين من جهة واليساريين المناصرين لفلسطين من جهة اخرى . وفي جامعة السوربون كانت المواجهة واضحة بين المدافعين عن السياسة الاسرائيلية والمدافعين عن سياسة حركة « فتح » الفلسطينية . اما الشباب اليهودي الواعي ممن ينتمي الى احزاب ومنظمات يسارية مثل « الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا » و « الكفاح العمالي » ، و « رابطة الشيوعيين » و « رابطة الشباب من اجل الاشتراكية » ، فكان معارضا لسياسة اسرائيل العدوانية وكذلك للصهيونية المتمثلة في الاحزاب السياسية الاخرى . وفي عام ١٩٦٩ ، تشكلت منظمة تحمل اسم « جبهة الطلبة اليهود » تقف بوجه التيارات المعادية للصهيونية . وقد انعكس هذا الصراع في الحياة العملية ، ففي الثاني من حزيران عام ١٩٦٨ احتدمت المعارك في حي بلفيل بباريس بين المسلمين العرب المغاربة والصهاينة واستمرت لمدة ثلاثة ايام كانت الصهيونية محركة لها .

فالصهيونية تحاول على الدوام استغلال كل الظروف لكي تعبر عن ارائها ، ففي اكتوبر ١٩٧١ ، بعد زيارة برجنيف الى باريس ، دعت عناصرها الى القيام بتظاهرات في شوارع باريس لـ « مساندة » اليهود في الاتحاد السوفيتي .

على اعقاب قرار الجنرال ديغول ، جاء في عام ١٩٦٩ ، الرئيس الفرنسي اللاحق ، جورج بومبيدو ، ليعلن عن قراره بالمقاطعة الجزئية لاسرائيل ، وامر بأرسال قطع الغيار . شكل هذا القرار منعطفا هاما في العلاقات الفرنسية ـ

الاسرائيلية. كذلك ادى ذلك الى تغيير المواقف السياسية ليهود فرنسا لانها على الاغلب مرتبطة بالمتغيرات السياسية .

ولاحداث الطلبة عام ١٩٦٨ تأثير بالغ الاهمية على الحياة الداخلية للجالية اليهودية مثل الاتهامات التي وجهها الشباب اليهودي لمؤسسات صهيونية مثل « تجمع الكهنة » و « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » .

نتيجة للدعاية الصهيونية القائمة في فرنسا ، هاجر منذ عام ١٩٤٥ مايقرب من ٣٠ الف يهودي الى اسرائيل .. تلك الهجرة تطلق عليها الصهيونية ـ الدينية « عليا » alyah أي « الصعود » الى اسرائيل بكل معانيه الدينية والسياسية . كما ساهم المؤتمر اليهودي العالمي Congres Juif Mondial فرع فرنسا و « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » في حملات التوعية الواسعة في محافظات عديدة مثل : ليل ، نانسي ، ستراسبورغ ، ليون ، مارسيليا ، تولوز ؛ من اجل الهجرة الى « اسرائيل » .

من المعروف ان اوضاع يهود فرنسا الاقتصادية تطورت بشكل متزايد في السنوات الاخيرة ، رغم معاناة اليهود العرب من المغرب من كل اشكال البؤس والفقر . ومن العجيب ان نلاحظ ان الطبقة الفقيرة من اليهود الساكنين في الاحياء الباريسية سان بول ، وبيلفيل ، وغيرها حققوا المزيد من الارباح التجارية ، وتخلوا عن مناطقهم السكنية البائسة القديمة لكي ينتشروا في الضواحي .

تتخوف الصهيونية ، وتزداد مخاوفها يوما بعد يوم ، لمسألة تنوع التقاليد الدينية والاجتماعية والفلسفية من جهة ؛ وقضية الاندماج والانصهار بالمجتمع الفرنسي من جهة اخرى ، وكذلك تأثير الاعلام غير الصهيوني على اذهانهم . لذا فهي تحاول بشتى الاساليب ان تؤثر على مجرى الاحداث .. خاصة في جلب الانظار على الدوام . نحو مستقبل « اسرائيل » اكثر مما تهتم بالمشكلات الداخلية

للجالية .

في هذا المجال تسعى الصهيونية الى بث الدماء في حركتها منذ حرب حزيران ١٩٦٧ مؤكدة على لسان مفكرها الصهيوني الفرنسي الشهير ايمانويل ليفينز بسوجود « طريقة جديدة ليصبح الفرد يهوديا في فرنسا منذ ١٩٦٧ . »

لقد فشلت الصهيونية في محاولتها دفع كل يهود فرنسا للذهاب الى فلسطين . يضاف الى ذلك ان « اسرائيل » ترغب على الدوام في فرض وصايتها على كل يهود العالم لذا تستغل « اسرائيل » كل عدوان جديد على الامة العربية كي تختبر يهود العالم ؛ فتبدأ بطلب جمع التبرعات لكي تدعم وضعها الاقتصادي والايديولوجي في آن واحد . وقد لبت الصهيونية في فرنسا ذلك ؛ على اثر اجتياح « اسرائيل » للبنان ؛ اذ نادى الان دي روتشيلد كافة اليهود لجمع التبرعات ، ونشر ذلك النداء في صحيفة « فرانس سوار » ، عدد ٢٢ ايلول ١٩٨٢ ، بأسم المجلس الممثل للمنظمات اليهودية بفرنسا .. ذلك على اعقاب جرائم صبرا وشاتيلا . هكذا تحاول الصهيونية ان تحمل اليهود في كافة انحاء العالم جرائمها ، وتعتبر اليهود مسؤولين عنها لا لشيء الا لأنهم يهود . لذا ينبغي ان يقدموا الدعم لاسرائيل دون قيد او شرط . هذا هو المنطق الصهيوني الذي يتهم اي رأي معارض لتلك الاهداف باللاسامية . لكن الصهيونية لاتنجح على الدوام في الترويج لدعايتها ، وفي كثير من الاحيان تقع في تناقضات كبيرة خاصة في اثارتها لمسألة « الولاء المزدوج » او « المواطنة المزدوجة » . ان هذه المسألة كثيرا ما تعرض اليهود للمخاطر بأعتبارها طائفة تعيش في كنف مجتمعات لا تؤمن بـ « الولاء المزدوج » . كما ان الصهيونية لايهمها معتقدات اليهود وآراؤهم السياسية او مواطنهم الاصلية .. اي انها لاتطلب سوى الولاء الاعمى والتحمس لكل جرائمها وافعالها المنكرة . واذا ما وقف احد بوجهها اتهمته مباشرة بالعداء للسامية ..

« الولاء المزدوج » اذن هو اسلوب صهيوني ـ ميكيافيللي . حين تفشل الصهيونية في تهجير اليهود الفرنسيين الى « اسرائيل » ، تحاول التغلغل في الاوساط اليهودية

لغرض تعبئة جزء منها لخدمة اهدافها بعيدة المدى . لذا فهي تولي اهتماما كبيرا للمنظمات اليهودية وتحاول فرض سيطرتها وهيمنتها .

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، اتسع التوزيع الجغرافي اليهودي في فرنسا وذلك بفعل حركات الهجرة السرية من اوربا الوسطى نحو باريس ومن افريقيا الشمالية نحو مارسيليا . ففي عام ١٩٤٨ ، عملت الصهيونية على تهجير غالبية اولئك النازحين الى « اسرائيل » مستفيدة بذلك من كل ماقدمته لها النازية من خدمات في التعبئة والدعاية .

ترتكز الصهيونية في ترويج دعايتها من اجل دفع اليهود الفرنسيين للهجرة الى « اسرائيل » على اسس معينة تحاول اعطاءها التبرير التاريخي والمنطقي : « هولوكوست » الحرب العالمية الثانية ، خلق دولة اسرائيل ، الحروب العربية الاسرائيلية المتتالية ، التناقضات بين يهود شمال امريقيا والحكومات العربية . كل هذه العوامل جعلت يهود فرنسا في وضع قابل للتأثر بحيث كانت الصهيونية تعتبر « انتصار دولة اسرائيل انما يعني الانتصار ضد جميع اشكال الاضطهاد » في عام ١٩٧٠ ، يصرح غي دي روتشيلد بأسم « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » ، وبمناسبة تأسيس اول مستعمرة يهودية فرنسية في اسرائيل « ميكفيه اسرائيل » قائلا : « اننا لم نأت لاسرائيل كي نبحث عن مأوى آمن يستقبلنا بقدر مانبحث عن رغبتنا الجامحة لتأكيد التماثل مع اسرائيل ، لبقايا شخصيتنا التي شوهت عبر قرون من الضغينة والعار ؛ وكذلك من اجل ان اسقط على اسرائيل ذاتي المستعمَرة . لا عجب بعد ذلك ، من التفجير العنيف لكل الاحقاد المتراكمة ، فكل الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) حديثا تثبت ذلك . » لقد اثارت الصهيونية ، منذ نداء تيدور هيرتزل لتأسيس الدولة اليهودية حماس بعض المفكرين والبروليتاريا اليديشية التي كانت تعيش في « الغيتو » الباريسي .

كما ان تاريخ الصهيونية في فرنسا ، بين الحربين ، كان يتركز بايدي بضعة افراد ومجاميع صغيرة . ولعل المبادرة الاولى ظهرت من خلال « رابطة اليهود

العالمية «Alliance Israelite Universelle» بينما زار شارل نيتر ، فلسطين في عام ١٨٦٨ لتحقيق مشروع « المدرسة الزراعية » التي بدأت بأستقبال المهاجرين الجدد . ومن ابرز الشخصيات الصهيونية التي ساهمت في عمليات الهجرة ، ادولف كريميو ، الذي كان يرأس انذاك « رابطة اليهود العالمية » . في ١٨٧٠ ، تأسست مستعمرة « ميكفه اسرائيل » Mikveh Israe قرب يافا ؛ وتلتها من بعد مستعمرات مماثلة مكونة من جالية فرنسية . وساهمت في عمليات الهجرة مجلات وصحف عديدة منها مجلة « صهيون » Zion التي كانت عبارة عن ترجمة فرنسية لمجلة المانية وكان يرأسها ويديرها الصهيوني الفرنسي المعروف بيرنار لازار .. يضاف الى ذلك ، مجلة « الصدى الصهيوني » L'Echo Sioiste يرأسها الكسندر مارموريك ، ومجلة « المشعل » Fiambeau يرأسها جاك بهار . ومن المعروف ان الاتجاهات الصهيونية المتنوعة تجمعت في « الاتحاد الصهيوني في فرنسا » Federa-tion sioniste de france في عام ١٩٠١ . اما في عام ١٩١٥ ، فقد تأسست « العصبة الصهيونية الفرنسية » Ligue franco — ionisle وقد جمعت اليهود وغير اليهود من اوساط المفكرين والسياسيين امثال : شارل جيد ، ماريوس موتيه ، شارل سيغنوبوس ، اندريه سفير ، ايمانيول في . وفي عام ١٩١٧ ، تأسست منظمة اخرى تحمل اسم « عصبة اصدقاء الصهيونية » Ligue des amis du Sionisme التي ضمت كلا من ريتشارد بلوخ ، جوليان كين ، جول اسحاق ، وادمزند فليك . في عام ١٩٢٠ اسس مجموعة من الطلبة تنظيما صهيونيا خاصا بهم ، وفي عام ١٩٢٥ ، اسس ليوبولد مينسغر ، حاكم ستراسبورغ ، اتحادا خاصا بمنطقتي الالزاس واللورين .. واصبحت فيما بعد مجلتا « المنبر اليهودي » Tribune Juive و « ارض الميعاد » Terre Promise الناطقتين بأسم الصهيونية الرسمية في فرنسا .

ان الغرض من هذا الاستعراض التاريخي ـ الميداني هو توضيح مدى تغلغل المنظمات الصهيونية وتأثيره بالوعي اليهودي . من الواضح ان عمليات الهجرة الى اسرائيل لم تتم بهذه البساطة بل عملت الصهيونية من خلال مؤسسات

فاعلة تشكلت منذ القرن التاسع عشر واستمرت الى وقتنا الحاضر .

ولتحقيق عمليات الهجرة ، عملت الصهيونية كل ما في وسعها لمساعدة اليهود الفرنسيين للرحيل الى اسرائيل منها تنظيم مكاتب خاصة للاستشارة والاستعلام كما ايقظت عند الجالية اليهودية الفرنسية ما تسميه العودة الى « ارض الميعاد » . اضافة الى ذلك ، عملت على ارسال الشباب اليهودي الفرنسي للعمل في « الكيبوتز » المزارع الجماعية الاسرائيلية ـ وعلى الخصوص على اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ وتشرين ١٩٧٣ لاغراض دعائية . ولاتعتبر الصهيونية اليهود الفرنسيين الا رعايا اسرائيليين وهذا يظهر في تصريحات قادة الحركة الصهيونية في فرنسا ؛ يقول سيمون ابستن السكرتير العام للحركة الصهيونية في فرنسا على اثر حرب حزيران : « يهود فرنسا نادرا ماشعروا كما يشعرون اليوم بأن اسرائيل تخص كيانهم ؛ وان التعبئة من اجل الدفاع عن ـ دولتهم ـ يتخطى ماكان عليه خلال حرب الايام الستة .. حتى ان طبيعة هذا الدعم قد تغيرت : في ١٩٦٧ ، استهلكتنا العاطفة ، اما اليوم فأن هذا الدعم يحتوي على تماثل اكثر كمالاً مع الدولة اليهودية . منذ ستة اعوام ، نشهد نضجا تدريجيا للكفاح اليهودي ، وعلى الخصوص : اعمال لجنة دعم يهود الاتحاد السوفيتي اذ سمح لنا ذلك بتثبيت اطر هذا التجمع الذي يعمل الان بشكل متكامل . » .

ان الحقائق تكشف ان الصهيونية وان تغلغلت في مختلف الاوساط لكنها غير قادرة على تحريك كل يهود فرنسا ، ذلك ان عددا لايستهان به منهم مايزال يرفض الصهيونية والذهاب الى اسرائيل ، يقول احد الشخصيات اليهودية من البرجوازية الفرنسية : « لاتستطيع اسرائيل ان تحمل شيئا الى اليهود في ظل اوضاعنا . اننا فرنسيون منذ امد طويل ومن الصعب ان نستجيب لنداءات الصهيونية . اننا نعتبر الرحيل عن فرنسا نوعا من الجنون المحض حيث نضطلع بكل شرف وحب بهذه الجنسية ، وقد وجدنا ، بفضل اندماجنا بالمجتمع الفرنسي ، مستوى عاليا من الثقافة والحضارة ، واستطعنا ان نطور قابلياتنا واذواقنا . اننا

لانتخلى عن كل هذه المعرفة والخبرة من اجل بلد ليس ببلدنا .. » ان الصهيونية تصطدم بهذه الافكار وتجد مصاعب جمة في اقناع اولئك بالهجرة . لكنها رغم ذلك تنجح في اوساط الشباب الصهيوني المتحمس ، وعلى الخصوص ، الطلبة . اما عدد الاشكناز » اليهود — Askenasim يهود اوربا الشرقية ـ فهم اقل من يهود « السفارديم » Sephardim يهود شمال افريقيا ـ ممن يرغبون في الهجرة الى اسرائيل .. بينما تذهب الصهيونية الى طرح شعارات البحث عن الهوية اليهودية من اجل استقطاب اليهود الفرنسيين او من خلال طرح موضوعات اخرى كالرجوع الى العرق او التاريخ او التقاليد او الاصول .

ويؤكد معظم اليهود الجزائريين على انهم « فرنسيون بالدرجة الاولى » nous sommes fransais d'abord واسرائيل وطننا الثاني هذه الاجابات تقلق الحركة الصهيونية الفرنسية وتفشل مخططاتها في عمليات التهجير . يبقى ان عدد المهاجرين من اليهود الفرنسيين الى « اسرائيل » يتراوح بين ٣ و ٤ الاف شخص سنويا وقد هاجر بين اعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ مايقرب من ١٩ الف شخص بفعل الدعاية الصهيونية . لابد من الاشارة الى ان هذه الهجرة ازدادت بشكل ملحوظ على اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، ومعظم اولئك المهاجرين من الموظفين ، والاطباء ، والجامعيين ، ولعل نكستنا القومية كانت سببا اخر في تشجيع هذه الهجرة .

ـ ٢ ـ
دور الصهيونية في استعمار المغرب العربي

منذ منتصف القرن التاسع عشر ، اهتم الاستعمار الفرنسي شأنه شأن الدول الاستعمارية الاخرى كانكلترا والمانيا والولايات المتحدة ، بالشرق الاوسط ، وبالتالي بالمسألة اليهودية . فقد كتب موشه هسه ، الذي ولد في المانيا وامضى سنوات عديدة في باريس ، كتابه الشهير « روما واورشليم » في عام ١٨٦٢ قائلا فيه : « ان فرنسا سوف تمد اليد بكل طيبة خاطر الى اليهود لأجل انشاء مستوطنات من شأنها ان تمد شباكها من قناة السويس الى اورشليم ومن ضفاف

الاردن الى سواحل البحر الابيض المتوسط . » ولكي يبرهن موشه هسه على صحة موضوعته القائلة بأمكانية الاعتماد على مصالح الدولة الفرنسية ، يستشهد بكتاب الفرنسي « لاغارن » .. فقد جاء فيه ان للدول الاوربية مصلحة في تأسيس دولة يهودية « تصبح وسيطة بين اوربا وطرفي اسيا » .

كان لليهود الفرنسيين وخاصة الصهاينة منهم دور كبير ، في استعمار الجزائر اذ قاموا بتنظيم انفسهم منذ عام ١٨٦٠ ، وتهيأوا لهذه المهمة . لم تكن المسألة الجزائرية من المسائل السهلة ابدا ، خاصة وان وجود اليهود في الجزائر كان يمتد في القدم حتى يصل الى الفترة القرطاجية . ولم تشر الاحصائيات بالضبط الى عدد اليهود في الجزائر عام ١٨٣٠ : ربما حسب التخمينات يصل عددهم الى عشرة او خمسة عشر الف شخص يعيشون جنباً الى جنب مع اخوانهم المسلمين الجزائريين . عندما بدأت الحملة العسكرية الفرنسية في غزو الجزائر ، كان اليهود القاطنين هناك يحكمون انفسهم بأنفسهم ، ويسكنون في احياء خاصة بهم تسمى بـ « ملاح » .. كان اليهود الفرنسيون يروجون بأن الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر جزء من تحرير اليهود من « الاضطهاد العربي » و «الاحياء البائسة » .. وكانوا اضافة الى ذلك ، يدعون ان من اهداف الحملة الفرنسية سن « قوانين المساواة » بين اليهود الجزائريين واليهود الفرنسيين ! منذ عام ١٨٣٠ اي منذ دخول الاستعمار الفرنسي الى الجزائر ، اخذ يروج اداعاءاته الكاذبة باحترام كل الاديان . وهي في الحقيقة ، لم تكن سوى خطة تكتيكية للسيطرة على جميع الاقليات ومن ثم اخضاعها . وبعد مرور عام واحد على السيطرة الاستعمارية ، قررت الحكومة آنذاك « رئيسا للامة العبرانية » باعتبارة حلا مؤقتا لمشكلة اليهود الجزائريين وقد دام هذا التشريع مايقارب الاثني عشر عاما . بعدها ، بادر اليهود الفرنسيون وخاصة كل من ميشيل بيير وغوستاف دي ايشتال ، باقتراح خطط معينة لغرض الاستعمار والاندماج . ولعل مجلس الكهنة نجح في خططه اذ عهد لرئيس كهنة مرسيليا ، « التراس » بمهمة الذهاب الى

الجزائر والتفاوض حول اوضاع اليهود هناك كما ذهب كريميو هو الاخر الى الجزائر حيث زار كلاهما الجالية اليهودية الجزائرية واقترحا تأسيس مجلس كهنة ، وفتح المدارس الخاصة باليهود الجزائريين . في عام ١٩٤٠ ، عهدت الحكومة هذا الموضوع لهيئة محلية لتدارس المشروع . وبالفعل اجتمعت الهيئة لاول مرة في العام نفسه في بلدية الجزائر بمشاركة الكاهن الكبير جيوندا دي دافيد آمانو وبعض المسؤولين اليهود الاخرين . اتفق المجتمعون على انهم مهيأون لقبول التشريع الفرنسي ونظام الكهنة اليهودي ولكن بشرط واحد وهو خضوعهم لتقاليدهم واستقلاليتهم ازاء مجلس الكهنة الرئيسي . في الاجتماع الاول لم يخرج المؤتمرون عن اية نتائج تذكر لذا تقرر انعقاد لجنة اخرى في باريس عام ١٨٤٣ تحت اشراف النائب اوجين جانفييه وضمن اللجنة كل من كريميو ، ماكس تيودور سيرفبير ، وفيليب انسياش من اجل تمثيل الطوائف المختلفة . لكن كريميو واتباعه ايدوا مسألة مساواة الحقوق والاندماج وربط الطوائف اليهودية الجزائرية بمجلس الكهنة الرئيسي ، بينما رفض العسكريون ذلك . في عام ١٨٤٥ ، تقرر تأسيس ثلاثة مجالس كهنية محلية في المدن الرئيسية : الجزائر ، وهران ، والقسطنطينية ، مرتبطة بمجلس الكهنة الجزائري المستقل . بهذا حاول الاستعمار الفرنسي ان ينشئ لليهود الجزائريين تنظيما على النمط الفرنسي وذلك ضمن خطة لأستعمار البلاد بأكملها . كما اخذت الدولة تفرض سيطرتها على الكهنة . انذاك قام نزاع بين اطراف عديدة لقيادة المجالس الكهنية الجديدة والاستيلاء على المناصب الرسمية الهامة . وقد لعب كاهن الجزائر الكبير ، ميشيل فيل ، وانصاره ، دورا كبيرا في انشاء المدارس لنشر الافكار الاستعمارية الفرنسية في ارجاء الجزائر . لكن هذا السلوك اثار صغار اليهود الارثودوكسيين وجعلهم يحتجون في عام ١٨٤٨ الا انهم كانوا ايضا واقعين تحت التأثير الفرنسي .
فيما بعد اي في عام ١٨٦٢ ، نجح اليهود المتسلطون في ربط المجالس الكهنية المحلية بمجلس الكهنة الرئيسي في باريس من جهة ، ومن جهة اخرى تمكنوا من

تعطيل مجلس كهنة الجزائر الذي انتفت الحاجة لوجوده .. وفي هذه الفترة بالذات تقلد الكاهن الكبير سالومون اولمان لقب « الكاهن الكبير لفرنسا والجزائر » .

منذ عام ١٨٤٥ ، خرج كريميو ، اليهودي الشهير ، المعادي للصهيونية فيما بعد ، من مجلس الكهنة الرئيسي وبدأ ينظم حملاته الانتخابية للبرلمان بعد ان شعر بأن التنظيمات اليهودية لم تكن مخلصة لقضية مساواة الحقوق . وفي عام ١٨٤٨ ، اصبح لمدة قصيرة عضوا في الحكومة المؤقتة ، واقترح مع وزراء اخرين مسألة الاندماج التدريجي للجزائر في « المتروبول » .. كما طالب بأعطاء المواطنة الفرنسية لا لليهود فحسب وانما للعرب كافة . لكن ذلك لم يكن سوى ضرب من الخيال لان العرب المسلمين الجزائريين كانوا مستعمرين تحت الامبراطورية الثانية . وكان نابليون الثالث يحلم بتكوين « مملكة عربية » خاصة به كما ان جميع محاولات اليهود المتنورة لم تؤد الى نتيجة بأستثناء حصول بعضهم على الجنسية الفرنسية . اما كريميو فقد استطاع ان يضغط على الحكومة في سن تشريع قانون ٢٤ اكتوبر القاضي بمنح اليهود الجزائريين حقوق المواطنة الفرنسية .

من الواضح ان مثل هذه التشريعات ادخلت في الاوساط اليهودية نوعا من الارتياح المؤقت رغم انها اثارت في الوقت ذاته معاداة السامية المحلية . بين اعوام ١٨٥١ ـ ١٩٠٠ ، ازداد عدد اليهود من ٢١ الى ٥٧ الف نسمة . ومع تطورات الجزائر الاقتصادية ، استطاع اليهود ان يحسنوا اوضاعهم الاجتماعية والمهنية ، واصبحوا جزءا لايتجزأ من الثقافة الفرنسية . حدثت الاوضاع نفسها في البلدان المجاورة عند اعلان الحماية الفرنسية ، منذ ١٨٨١ لتونس ومنذ ١٩١٢ في المغرب .

في الحقيقة ، كانت الصهيونية تستخدم سلاحا ذا حدين في التعامل مع يهود المغرب العربي .. مستندة الى كل الاوضاع غير الطبيعية التي كانت تسود انذاك .. فقد دعمت الاستعمار من اجل تهجير يهود المغرب العربي الى فلسطين ،

وانجاح قضية الاستيطان الصهيوني .

وقد مرت عمليات تهجير بمرحلتين الاولى دمج اليهود المغاربة بالجالية الفرنسية عن طريق ترحيلهم الى فرنسا ؛ والمرحلة الثانية تهجيرهم من فرنسا الى فلسطين .

ولقد ادى تدفق الهجرات اليهودية من بلدان شمال افريقيا ـ الجزائر ، تونس ، والمغرب ـ منذ عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٧ ، الى تغيير اوضاع الجالية اليهودية الفرنسية سواء من الناحية الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية . على اعقاب الاستقلال ، كانت فرنسا تستقبل اليهود المهاجرين من المغرب العربي بنسبة خمسة الاف شخص شهريا باحثين عن العمل . وادت هذه الهجرات اليهودية البطيئة الى اثارة قلق حكومتي تونس والمغرب المستقلتين وجبهة التحرير الوطنية .F.L.N في الجزائر .

في نوفمبر من عام ١٩٥٦ ، وعلى اثر احداث قنال السويس والعدوان الثلاثي على مصر هاجر عدد كبير من اليهود المصريين ، بتدبير من الصهيونية العالمية ، وتوجهوا الى مرسيليا ومن ثم الى باريس . في عام ١٩٥٨ ، اشتدت موجات هجرة اليهود من المغرب العربي ووصلت اوجها في عام ١٩٦٢ عند استقلال الجزائر ، اذ هاجر معظم اليهود من مدن وهران والقسطنطينة ومزاب بالسفن او الطائرات الى ميناء مرسيليا وبورت فانديز .

بطبيعة الحال ، ضاعفت موجات الهجرة من عدد الجالية اليهودية الفرنسية ، الا ان الصهيونية كانت تعد المهاجرين بأن فرنسا ليست سوى مرحلة اولى للسفر الى « اسرائيل » ـ الارض الموعودة ـ لكن هذا الحماس تضاءل عند المهاجرين عقب حرب حزيران ١٩٦٧ وقرار فرنسا بايقاف شحن الاسلحة الى « اسرائيل » نتيجة لذلك اضطر عدد كبير من المهاجرين اليهود العرب الى الاستقرار في احياء باريس وضواحيها بينما توزع القسم الاخرى في المحافظات الفرنسية الكبرى مثل : مرسيليا ، نيس ، ليون ، تولوز ، ستراسبورغ ، وذهب

اخرون الى مدن صغيرة مثل : كاربنتراس ، لونفيل ، تور ، اكس اون بروفانس ، نيم ، وكان .

اما مرجع هؤلاء المهاجرين الديني فهو كاهن فرنسا الكبير ، ومجلس الكهنة الرئيسي في فرنسا والجزائر في الحقيقة ، لم تكن الجالية اليهودية الفرنسية مهيأة لاستقبال الاعداد الهائلة من يهود المغرب العربي . لذا اخذت الصهيونية تنبه مرارا الى مخاطر اندماج اولئك اليهود وانصهارهم الكلي في المجتمع الفرنسي خوفا من فقدان سيطرتها فقد بادرت الى تقديم المعونات الاجتماعية كأفتتاح المدارس الخاصة وغيرها . في تلك الاثناء اضطرت الحكومة الفرنسية الى ان توجه نداء للهيئات الدينية والاجتماعية اليهودية لاستقبال المهاجرين استقبالا شخصيا وخاصة في المدن الكبرى تشجيعا لهم ..

وكانت المهمات الملحة انذاك تتركز في تأمين السكن والعمل والرعاية الدينية لاولئك المهاجرين بما يتفق وتقاليدهم الاصلية . ولعبت الجالية اليهودية الفرنسية دورا كبيرا في تسوية الاوراق الرسمية للمهاجرين الجدد .. اي قامت بدور الوسيط بين المهاجرين والسلطات الرسمية . وبالرغم من كل الجهود فقط برزت مشكلات عديدة امام المهاجرين اليهود العرب اهمها : المشكلات الدينية والسيكولوجية والثقافية .

منذ عام ١٩٥٥ ، كان « لتجمع الكهنة » consitoire في باريس طموحات دينية يريد تحقيقها من خلال يهود شمال افريقيا اذ خصص لهم واحدا من اكبر المعابد اليهودية في باريس ذلك الكائن في شارع « تورنيل » كما شيد الكاهن بول روتمان عام ١٩٦٠ مراكز دينية ارشادية في الضواحي الباريسية . وقد وجه الكاهن الكبير كابلان نداءً الى الجالية الفرنسية دعاها فيه لتقديم اقصى مايمكن من الدعم ليهود المغرب العربي ، وخاصة على الصعيد الديني - الروحي . كانت المصاعب التي وقفت بوجه اليهود العرب تمتد الى جميع الاصعدة ، وعلى الخصوص ، المصاعب المالية ذلك ان خزينة تجمع الكهنة الرئيسي كانت تشرف

انذاك على الافلاس .. وحتى المعونات الموسمية اصبحت في حالة ضعيفة للغاية . لذا سارع كبار الرأسماليين اليهود الى تقديم العون الى « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » امثال ايدموند دي روتشيلد . بينما اضطر « تجمع الكهنة » الى اعطاء الاموال المخصصة لتأجير صالات الاحتفالات الدينية ، الى اليهود العرب الاتين من وهران ، والجزائر ، وتونس ، ومصر ، محاولة منه لكسبهم ، ودمجهم فيما بعد بالطائفة اليهودية الفرنسية .

من المعروف ان شمال افريقيا تتميز بتنوعها على صعيد العادات والطقوس ، فهي تختلف ، بعقليتها واسلوب تفكيرها عن اوربا ، اضافة الى ان كل مجموعة من هذه المجاميع تجهل عادات ومشكلات المجموعة الاخرى .. كان لابد من علاج هذا النسيج المتنوع من اساليب التفكير ، لذا قرر الكاهن الكبير « رابينا » ان يعين ممثلين لكل هذه الطوائف ، وذلك حسب حجمها وكثافتها ، كي لاتشعر بالغربة والاغتراب معا . ومنذ عام ١٩٦٣ ، شكلت كل طائفة جمعيات ومؤسسات خاصة بها مثل « رابطة اليهود الجزائريين » لديها ممثلون في مكتب « تجمع الكهنة الرئيسي » ، وجمعية « النداء اليهودي الموحد » و « الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد » . كان غرض خلق الجمعيات والروابط الخاصة بيهود شمال افريقيا المحافظة على السمات الخاصة بهم من ناحية ، والحاقهم بالجالية اليهودية الفرنسية من خلال ممثليها من ناحية اخرى . ومنذ عام ١٩٦٧ ، حذت الروابط الاخرى حذو « رابطة اليهود الجزائريين » ، فتشكلت « رابطة اليهود التونسيين » و « رابطة اليهود المغاربة » ... ولكننا لابد ان نتساءل : هل قدمت هذه الروابط حلولا للمشكلة النفسية والثقافية والدينية التي يعيشها يهود المغرب العربي وسط اجواء اجنبية ـ غريبة ، وبعيدة كل البعد عن العقلية العربية التي ترسخت في اعماقهم ؟ وهل تمكنت هذه الروابط من القضاء على عاداتهم وتقاليدهم الاصيلة ؟! الحقائق تجيب ان التناقضات كانت ومازال تفصل الطوائف اليهودية بضعها عن البعض الاخر .

بعد المشكلات الدينية والسيكولوجية تأتي المشكلات الثقافية . فلم يكن يهود المغرب العربي ، الذين تعودوا العيش بشكل جماعي او عائلي ؛ يعبرون عن الحياة الثقافية الا من خلال الديانة اليهودية ، بأعتبارها نشاطا انسانيا . وقد حرصت الصهيونية العالمية ان تدخل الى اعماق اولئك اليهود المغتربين من خلال بوابة كبيرة ، اسمها الديانة اليهودية فما دام هذا الدين يخدم مصالحها ، فليس هناك من تناقض ! لذا قامت جمعية « ثورا - في - صهيون » thora — ve — sion على تقديم التعاليم والارشادات الدينية - اليهودية وخاصة في ضواحي باريس . اما حركة « ايش - دات » Ech — dat اي « شعلة المعرفة ، فلم تنقطع منذ عام ١٩٦٥ عن عقد المؤتمرات الثقافية التي ركزت معظمها على مشاكل «اسرائيل» لا على مشكلات الجالية اليهودية . وفي الوقت ذاته كانت هذه الجمعية تخصص دروسا خاصة لتعليم العبرية ، او تقديم عروض خاصة من المسرح اليهودي . وبالرغم من ذلك عاش اولئك اليهود في عزلة خانقة نتيجة لاوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية من ناحية ، وللنظرة الدونية التي يعكسها اليهود الفرنسيون ازاءهم . لذا فأن هذه التناقضات جعلت معظمهم يطلب الجنسية الفرنسية كي لاينظر اليهم كعرب سواء من اليهود الفرنسيين او من الفرنسيين العنصريين الاخرين . بينما تحاول الصهيونية بشتى اساليب الترهيب والترغيب ان تنسي اولئك المغتربين اوطانهم الاصلية وذكرياتهم . اذ فشلت معظم محاولاتها لتهجيرهم الى « اسرائيل » ، وغالبيتهم فضل البقاء والاندماج في المجتمع الفرنسي .

هكذا لعبت الصهيونية دورا كبيرا في استعمار بلدان المغرب العربي بغية التأثير على الطوائف اليهودية التي كانت تعيش بأمان جنبا الى جنب مع اخوانهم المسلمين ..

بيد ان الصهيونية ذهبت الى ابعد من هذا الحد ، وخاصة في سعيها لاثارة النعرات الطائفية بين اليهود والمسلمين ، وتغذية مشاعر العداء للسامية كي تجعل

اليهود المغاربة في اوضاع متأزمة . وهذه السياسة ليست خافية على احد مهما اختلفت الاساليب وتنوعت الطرق . ولعل الويلات والاضطهادات الجماعية التي تعرض لها اليهود المغاربة في الغرب الرأسمالي لم يتعرضوا لجزء يسـير منها في البلدان العربية والتاريخ اصدق شاهد على ذلك .

لقد عملت الصهيونية ، وبذلت جهوداً كبيرة في لفت انظار اليهود اليها ، فقد استغل الرأسماليون الفرنسيون « قضية دريفوس » L'Affaire Dreyfus التي شغلت فرنسا ومستعمراتها زمنا طويلا . ولقد تصاعدت في فرنسا انذاك موجة اللاسامية في صفوف البروليتاريين والبرجوازيين الصغار الذين سلط عليهم المهاجرون اليهود من اوربا الشرقية منافسة كبيرة في سوق الشغل ، فلم تتردد البرجوازية الحاكمة في تحويل عداء البروليتاريين والبرجوازيين الصغار لها الى اعداء لليهود . وكان الضابط اليهودي دريفوس بمثابة كبش الفداء الذي ضحت به البرجوازية لفك زخم الصراع الطبقي المحتد .

واذا كان انكشاف سياسة فرنسا اليهودية بفضائحية لم يسبق لها مثيل في اب ١٩١٧ قد جرف للحركة الصهيونية جموعا عديدة من اليهود ، فأنه قد دفع ايضا بجموع اخرى لاتقل عنها كثيرا من حيث العدد نحو الحركات السيـاسية الاخرى . وقد لعب البرجوازيون اليهود الصغار منهم والمتوسـطون دور المزور الرئيسي لهذه الحركات . فقد انخرط بعض اليهود في حركة الماسونيين .

عاشت الحركة الصهيونية العالمية وترعرعت في اجواء عالمية متوترة . وقد سلكت الحركة الصهيونية في فرنسا طريقا خاصا تميز بالانتهازية تارة وبالعنف تارة أخرى ازاء يهود المغرب العربي . وادت مضاعفات الازمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٢٩ الى توسيع رقعة الحركة الثورية في البلدان الامبريالية ، فالتجـأت الطبقات البرجوازية فيهـا الى انتهاج سيـاسة فـاشية ، وعـلى الخصوص ازاء مستعمراتها . وكان من الطبيعي ان تنعكس نشاطات الحركة الصهيـونية عـلى بلدان المغرب العربي ــ الجزائر ، المغرب ، تونس ــ الواقعة انذاك تحت الاحتلال

الفرنسي . كان يهود المغرب العربي يأملون على الدوام في الحصول على الجنسية الفرنسية . وقد رفع شعار المطالبة بالجنسية الفرنسية البرجوازيون اليهود وذلك كوسيلة لضمان مصالحهم الاقتصادية . ومن خلال ذلك ارادوا النفاذ الى مواقع هامة في جهاز سلطات « الحماية » وقد اشرفت الحركة الصهيونية بل ساهمت في اصدار الصحف والمجلات في بلدان المغرب العربي ، نذكر منها « النشرة التونسية » ١٨٨٩ ـ ١٩٤٨ La Depeche Tunisienne وهي الناطق شبه الرسمي بأسم سلطات الاحتلال الفرنسي في تونس ، و « تونس الفرنسية » ١٨٩٢ ـ ١٩٤٦ La Tunisie Francaise وهي جريدة غلاة الاستعماريين الفرنسيين ، و« الصدى التونسي » L'echo Tunisien اللاسامية التي انشأها سنة ١٨٩٧ كولاند دي لامور . وقد ارسلت الحركة الصهيونية المستقرة في فرنسا بعثات تبشيرية عديدة لنشر الافكار الصهيونية وكذلك التعاون مع اليهود المحليين لتأسيس الصحف والمجلات الخاصة بها . وقد وقفت بعض التنظيمات اليهودية ضد ذلك الا ان المنظمات الصهيونية المتعصبة الاخرى استقبلت ذلك بحماس كبير . وعلى اثرها صدرت بعض الصحف والمجلات التي تدعو الى لم شتات اليهود في بلدان المغرب العربي وضرورة التوجه الى ارساء الكيان الصهيوني .

فالمواقف كانت تعبر عن روح انتهازية سلكتها السلطات الفرنسية انذاك الا انها تمسكت بضرورة صهر اليهود في الحضارة الفرنسية . وقد لاقى هذا المبدأ رفضا شديدا عند الحركة الصهيونية ومحاولة السلطات الفرنسية وسعيها الحميم لتطبيق هذا المبدأ توافقت ومصالحها في الشرق الاوسط . وكان الدعاة الصهاينة يذهبون على الدوام الى بلدان المغرب العربي على سبيل المثال ، قصد الصهيوني موريس مسيكا تونس لتنظيم سفارادي ـ اليهود العرب والاسبان والبلقان ـ وكان الغرض من ذلك . ربط التجمعات السفارادية المتناثرة على طول البحر الابيض المتوسط . اما هدفها الثاني فكان يسير ضد حركة انصهار اليهود . وقد عمدت السلطات الفرنسية انذاك الى سن قانون تجنيس اليهود للوقوف بوجه الحركة

السفارادية الصهيونية المعارضة لطموحات السلطات الفرنسية في السيطرة على هذه المناطق . وفي عام ١٩٣٤ وصل تجنيس يهود المغرب العربي الى اقصاه . ولكن الحركة الصهيونية ، كعادتها القديمة ومواقفها الانتهازية المعروفة ، كانت تقبل احيانا بتجنيس اليهود للحفاظ على مصالح التجار الكبار من ناحية ؛ وترفض من ناحية اخرى ذوبان اليهود وانصهارهم داخل الحضارة الفرنسية . وكانوا ينشدون جمع كافة التنظيمات اليهودية في المغرب العربي ، وتوحيدها ضمن الحركة الصهيونية . وتركزت الافكار الصهيونية التي اخذت الحركة بنشرها بين صفوف الجالية اليهودية في فرنسا وبلدان المغرب العربي على الترويج بأن الصهيونية ستعمل على تطوير الطاقة الانتاجية في فلسطين وسيكون دورها مماثلا لدور الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ .

وكانت الحركة الصهيونية وماتزال تهدف الى انتزاع اليهود من اوطانهم لوضعهم في غيتو عالمي على حد تعبير روجيه غارودي . واليهود الفرنسيون مثل بالغ الدلالة في هذا الصدد ، فبعد توقيع اتفاقيات ايفيان عام ١٩٦٢ وتحرير الجزائر غادرها ١٣٠ الف يهودي ، لم يذهب منهم الى اسرائيل سوى عشرين الفا بينما ذهب الى فرنسا ١١٠ الاف يهودي . وقد وجدت نفس النسبة بين المستوطنين الفرنسيين غير اليهود الذين تركوا الجزائر ولم تكن مناهضة السامية سبب هذه الهجرة بل كان سببها الاستعمار الفرنسي السابق للجزائر وقد عرف اليهود الفرنسيون المصير نفسه الذي عرفه الفرنسيون الاخرون في الجزائر .

وقد وقع اليهود بين اتجاهات متنوعة .. فالحركة الصهيونية تطالب بمعاملة اليهود معاملة خاصة .. اما الفرنسيون فيطالبون بأنصهارهم في صلب الثقافة الفرنسية ولاقت هذه الدعوة نجاحا ملحوظا بين الجالية اليهودية الا انها من ناحية اخرى ارعبت كبار البرجوازيين اليهود ، وبدأوا يتخوفون من الحركة الصهيونية المعارضة لانصهار اليهود في الثقافة الفرنسية وهكذا كانت سلطات « الحماية » الفرنسية انذاك مترجرجة في خططها ؛ فقد عارضت مسألة اعتماد اللغة العبرية

واعتبرتها خطرا موجها ضد اللغة الفرنسية وانتشارها الواسع بين الجاليات اليهودية في اقطار شمال افريقيا وعمدت السلطات الفرنسية الى الضغط نوعا ما في الثلاثينات على يهود المغرب العربي خاصة في ظروف اشتداد التصادم بين المسلمين واليهود وما سببته هذه الاحداث من زعزعة سيطرتها المحكمة .

ولكن الحركة الصهيونية ، رغم كل الجهود ، فشلت في معظم اقطار المغرب العربي ، لان عناصر « مشكلة يهودية » لم تكن تتوفر لان اليهود لم يعانوا في هذه البلدان كما عانوا في معظم البلدان الاوربية الاخرى . ولم تتوقف النشاطات الصهيونية ابدا ، فقد توافد عدد من مبعوثي المنظمة الصهيونية العالمية الى بلدان المغرب العربي ، على سبيل المثال زيارة موريس ستارن ، مبعوث الصندوق القومي اليهودي - فرع فرنسا - الى تونس . وكذلك زيارة ساسيا ايرليش مبعوثة « المنظمة النسائية الصهيونية العالمية » - فرع فرنسا ايضا - اضافة الى عدد كبير من دعاة الصهيونية .

ولم تتوقف فرنسا لحظة واحدة عن رسم مخططاتها . عندما احتلت الجزائر عام ١٨٣٠ فقد منحت يهود الجزائر الجنسية الفرنسية منذ عام ١٨٧٠ ، بموجب قرار « كريميو » Decret Cermieux ذائع الصيت . وقد ادت ظاهرة الحماية الفرنسية في المغرب وتونس بالدرجة الاولى الى « فرنسة » الطوائف اليهودية في هذين البلدين ، كما ادت الى ان تنتهي الى النموذج الاستعماري . وهنا لابد من الاشارة الى الجالية اليهودية المصرية ، في معرض حديثنا ، فكانت ثقافتهم فرنسية بشكل اساسي . شكلت عام ١٩٥٦ انعطافا كبيرا في حياة هذه الجاليات فقد صادفت احداث حرب السويس واستقلال كل من المغرب وتونس مما ادى الى تدفق موجات الهجرة الى فرنسا والتحق مايقرب من ١٠٠ الف يهودي مصري و ٩٠ الف يهودي تونسي ومغربي بفرنسا . كما سهلت السلطات الفرنسية عملية التحاق مايقرب من ١٤٠ الف يهودي جزائري بفرنسا عشية الاستقلال مباشرة . وقد سعت فرنسا على الدوام ، الى اثارة يهود المستعمرات الى جانبها من ناحية ،

والعمل على قطع هذه الجاليات من تقاليدها الاصلية من ناحية ثانية لاخضاعها . وذهبت الى ابعد من ذلك حين منعت هذه الجالية من التحدث باللغة العربية فارضة عليهم اللغة الفرنسية . وسمحت السلطات الاستعمارية انذاك بتسهيل عمليات تسجيل الاطفال اليهود في المدارس الفرنسية على عكس ما كانت تفعله مع الاطفال العرب الاخرين .

واما من الناحية التاريخية ، فأن فرنسا اخذت تسن القوانين اللاسامية ابان الاحتلال الالماني لها ، مما ساهم في تسعير مشاعر اليهود في مستعمراتها الاخرى . وقد سلكت فرنسا طريقا انتهازيا ازاء اليهود في المغرب العربي ، وخاصة ابان حكم « فيشي » . ولان اعوان السلطة انذاك كانوا من اللاساميين ولشعورهم بأن اندحارهم اضعف سيطرتهم على بلدان المغرب ألعربي ؛ فقد بدأوا بأثارة النزاعات بين اليهود والمسلمين . والغرض من ذلك السيطرة والتضليل والخداع . وكانت السلطات الفرنسية انذاك تحدد مهمات هذا النزاع بحيث لاتريده ان يتوسع ويخرج خارج النطاق المرسوم له . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى . ساهمت النازية هي الاخرى في تحشيد عدد كبير من اليهود وادخالهم في الحركة الصهيونية اذ ان اعمال الارهاب واللاسامية ساهمتا في تقوية الحركة الصهيونية سواء في فرنسا او بلدان المغرب العربي . ولكن فرنسا تخلت عن القوانين اللاسامية وذلك بقرار من « اللجنة الفرنسية للتحرر الوطني » في ٨ اب ١٩٤٣ عندما دحرت قوات الحلفاء الغزاة الالمان . ومن هنا فقد اتاح ذلك لليهود حرية التحرك واعادة تأسيس تنظيماتهم الدينية والاجتماعية والثقافية ذات التوجه الصهيوني . ولم تفعل اللاسامية التي شجعها كل من الالمان والفرنسيين اكثر من جمع شمل اليهود ووحدت تنظيماتهم ، وشجعتهم على الانتماء الى الحركة الصهيونية . فالمشكلة اليهودية لم يخلقها سوى الغرب .

ان الصدمة التي هزت الطائفة اليهودية في بلدان المغرب العربي ابان صعود الفاشية ، واحتلالها فرنسا ، دفعت اليهود للانخراط او التعاطف مع الحركة

الصهيونية التي تحركت في اتجاه اقناع اليهود بان كافة البلدان معادية لهم ما عدا « ارض الميعاد » ـ فلسطين ـ . وقد اقنعت الحركة الصهيونية كبار التجار والبرجوازيين اليهود بذلك . كما عمقت لديهم الاحساس بالاغتراب والاضطهاد . وفي هذا المجال . تولت « الوكالة اليهودية » عمليات تهجير اليهود العرب من بلدان المغرب العربي الى فلسطين . ويهود المغرب العربي المتعاطفون مع الصهيونية ، تحولوا الى صهاينة بعد عام ١٩٤٨ اي بعد تأسيس الكيان الصهيوني . ان هجرة اليهود بأعداد ضخمة الى فلسطين بعد عام ١٩٤٨ يعود الى اسباب عديدة منها :

١ ـ ميلاد « الدويلة » الاسرائيلية .
٢ ـ عجز الدول العربية انذاك عن التصدي لها .
٣ ـ انحسار الاستعمار الفرنسي عن بلدان المغرب العربي ، وخاصة تونس والمغرب عام ١٩٥٦ .

كان غالبية اليهود في بلدان المغرب العربي ، بمن فيهم الصهاينة ، موالين لسياسة فرنسا . وكانوا يقفون على الدوام ضد استقلال هذه البلدان ذلك لان الحضارة الفرنسية طغت اكثر من نصف قرن على الحياة العامة لليهود . ولهذا السبب اختار غالبيتهم فرنسا كموطن لهم واسسوا لهم احياء خاصة ذكرناها سابقا .

كان يهود المغرب العربي « السفاراديم » يخلقون الاوهام تلو الاوهام عن زوال العنصرية في دولة « اسرائيل » وخصوصا بعد ان تعرضوا الى الوحشية النازية الا ان هذه الاوهام تبددت عندما ادركوا ان التناقضات بين اليهود الشرقيين والغربيين حقيقة واقعة لايمكن تغييرها في اعتى دويلة ارهابية وعنصرية اوجدها التاريخ الا وهي « اسرائيل » .

لقد اوضح التاريخ ان سلطات « الحماية » الفرنسية استخدمت اليهود كأداة ، ولم يكن هدفها سوى السيطرة على مستعمراتها وامتصاص خيراتها .

وجاءت المانيا اللاسامية وسيطرة فرنسا الاستعمارية ، ونشاطات المنظمات الصهيونية المحلية ساهمت في ترسيخ الكيان الصهيوني وهجرة اليهود الى فلسطين المحتلة .

ـ ٣ ـ

الصحافة الصهيونية

تلجأ الصهيونية العالمية ، على الدوام ، الى تغليف دعايتها ضمن مادة ادبية تبدو « محايدة » و « غير سياسية » في نظر القارىء العادي ، فتحقق بذلك نوعا من التوازي بين العمل الادبي والفني والاعلامي وما يحمله من قضايا ذهنية وايديولوجية خطيرة . ويتشعب هذا الاخطبوط مابين وسائل الاعلام ودور النشر والاذاعات الحرة والوسائل السمعية ـ البصرية والميادين الثقافية الاخرى .

قبل الخوض في هذا الموضوع الشائك والمعقد لابد لنا من القاء الضوء على هذه الصحافة ، وارتباطاتها بالمنظمات الصهيونية العالمية .

تمتلك الجالية اليهودية البالغ عددها ٦٠٠ الف وربما عدة اضعاف هذا العدد ، شأنها شأن جميع الاقليات الاتنوغرافية والدينية المنتشرة في العالم ، صحافة متميزة ، بالرغم من انها شهدت انخفاضا واضحا سواء في مبيعاتها أو انتشارها في السنوات الاخيرة . والميزة الاساسية لهذه الصحافة ـ وهذا دليل على تراجع الخصوصية اللغوية ـ انها تنتشر باللغة الفرنسية مائة بالمائة . وليس ثمة صحيفة أو مجلة تصدر باللغة العبرية لان هذه اللغة تبقى غير مفهومة عند غالبية اليهود القاطنين في فرنسا . اما عدد الصحف اليومية التي تنشر باللغة « اليديشية » ـ لغة يهود اوربا الوسطى ـ فلايجتاز الاثنين وهما « انزيرفورت » unzer wort ذات الاتجاه الصهيوني الواضح و « ناي بريس » nair press المغلفة بالاتجاه الاشتراكي . ومعظم قراء هاتين الصحيفتين من اليهود القاطنين في باريس واغلبهم من المسنين . ولعجز الصهيونية عن نشر هذه اللغة . العبرية واليديشية ـ تعمد الى فرنسة الجيل الثاني وقد اخذت تتجاهل الابجدية اليديشية

وقد ادى مواقف هاتين الصحيفتين المتعصبة الى التقليل من رقعة انتشارهما بشكل واسع . وقد انخفض عدد مبيعات صحيفة « ناي بريس » منذ عام ١٩٦٧ بسبب بعض مواقفها الانتقادية لاسرائيل ، مما جعلها تندمج اندماجا واضحا بمواقف الحزب الشيوعي الفرنسي .

وتعتبر هذه الصحف جزءا لايتجزأ من تراث الماضي وهي مهددة بالزوال في السنوات العشر القادمة . وفيما عدا الصحف اليديشية ليس هناك جريدة يومية يهودية في فرنسا سوى نشرة « الوكالة التلغرافية اليهودية » Agence telgraphiuqe juive المحدودة النسخ .

ومن الصعب جدا معرفة او تقدير عدد النسخ التي تطبعها اهم الصحف وكثيرا ما يميل المسؤولون فيها الى المبالغة في تقدير عدد القراء .

وتعيش هذه الصحافة المعتمدة على مساعدة المنظمة الصهيونية العالمية والاشتراكات ، صعوبات خطيرة .. ومما يدل على ذلك اضطرار بعض الصحف مثل « النشرة اليهودية » Information Juive و « صحيفة الجاليات » Journal des communautes للاندماج واختفاء صحف اخرى مثل « كاديما » Kadimah الصادرة عن « اتحاد الطلبة اليهود في فرنسا » . ولعلنا في هذا المقام نشير الى اهمية صحيفة « لارش » Arche وهي شهرية يصدرها ويمولها « الصندوق الاجتماعي اليهودي المتحد » ويديرها « روجيه اسكوت » .. وهي تمثل وجهة نظر جهاز الاعلام الصهيوني الرسمي في فرنسا . وتتميز هذه النشرة الصحفية بطرحها للمناقشات داخل الجالية اليهودية كما يعمل فيها عدد من الصحفيين البارزين .. وتشمل الاخبار التي تتناقلها اوضاع اليهود في اسرائيل وخارجها .

ومن الجدير بالذكر ان بعض هذه الصحف الصهيونية قد تأسست في الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي مثل « النشرة اليهودية » وذلك في عام ١٩٤٨ ، وعادت الى الصدور من فرنسا منذ نيسان عام ١٩٦٣ وتشرف عليها وتمولها « جمعية اليهود الجزائريي الاصل » ، ويعمل على ادارتها جاك لازاريس . ولعبت

هذه النشرة الصحفية خلال العشرين سنة الماضية دورا خطيرا في نشر الفكر الصهيوني ، رغم انها تتظاهر بانفتاحها وشموليتهاواستقلاليتها ازاء المؤسسات الرسمية . وقد ركزت هذه الصحيفة على نشر كافة المعلومات والاخبار عن حياة الجالية اليهودية غير انها ولاسباب عديدة ، اندمجت مع « صحيفة الجاليات » ، لسان حال « جهاز مجلس الكهنة اليهود » .

اما صحيفة « المنبر اليهودي » الاسبوعية Tribune Juive التي يديرها الكاهن جاكو كرينيفالد ، فتتظاهر بأنها تحمل رأيا مستقلا ، وخاصة تجاه السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط والصراع اللبناني ـ الاسرائيلي .. الا ان اعدادها لاتدل على ذلك فهي الاخرى شديدة الارتباط بالصهيونية .

تتظاهر الصحافة اليهودية في فرنسا على الدوام بانها لاتخضع الى تبعية المؤسسات الرسمية .. ونلاحظ انها تنتقد الواحدة الاخرى الا انها تشترك في المصير الواحد وهو الدفاع ، باي شكل من الاشكال ، عن الصهيونية . وهذه الصحافة حذرة جدا امام القراء اليهود الفرنسيين لانها غير واثقة من انتماءاتهم الفكرية والثقافية .

ومن النشرات الشهرية او الفصلية ، نذكر « الدفاتر الجديدة » Les Nouveaux cahiers التي تصدرها منشورات « التحالف العالمي اليهودي » وتتميز بتركيزها على الجوانب الثقافية .. وكذلك « دفاتر برنار لازار » Les Cahiers Bernard Lazare القريبة فكريا من حزب « مابام » الاسرائيلي الذي يلعب دورا كبيرا في تنسيق العلاقات مع اليسار الفرنسي .. وهناك ايضا مجلة اخرى بعنوان « الارض المسترجعة » La Terre Retrouvee وهي لسان حال الحركة الصهيونية .

واذا كانت الصحافة الصهيونية تعيش ازمة حادة ، فان تطور اجهزة الاعلام الاخرى ، وخصوصا الوسائل السمعية ـ البصرية ، منذ مجيء الاشتراكيين الى سدة الحكم .. ونعني بذلك منذ انتشار ظاهرة الاذاعات الحرة .. أعطى للصهيونية حصة الاسد من بين كل الجاليات الاخرى .. ففي منطقة

باريس ، اسست الصهيونية اربع اذاعات حرة وهي : « راديوج » Radio "J" و « جيبداييك » ف . Judaiques F.M. و « راديو الجالية » Radio Communaute و « راديو شالوم » Radio Shalom . وقد استطاعت هذه الاذاعات ان تكون جمهورها من المستمعين اليهود او المتعاطفين مع الصهيونية ، وقد استغلت احداث تفجير « مطعم روزنبرك » الكائن في شارع « روسييه » لكي تبث سمومها على الاثير ، اضافة الى تعليقاتها الواضحة على الحرب في لبنان . غير ان القانون الجديد الذي أقَرّه البرلمان الفرنسي اجبرهم على دمج هذه الاذاعات في موجة واحدة .. وتشكيل مجموعتين « راديو ج » و « راديو شالوم » من جهة ؛ و « راديو الجالية » و جيداييك ف.م. » من جهة اخرى . ومن المعروف ان هذا الدمج جاء ضد ارادة الصهاينة المعنين بهذه الاذاعات .

وتتظاهر هذه الاذاعات بانها مختلفة ومتناقضة فيما بينها الا ان حقيقة الامر تدل على العكس . ومعظم هذه الاذاعات ، شانها شان الصحف ، مرتبطة باحدى التنظيمات الصهيونية .. على سبيل المثال ، اذاعة « راديو ج » قريبة بل ومرتبطة بتنظيم « النهضة اليهودية » وتركز برامجها على نشر اخبار اسرائيل والجاليات اليهودية .. كما تركز على التخصص في نشر الصهيونية اما « جيداييك ف.م » ، فتعارض « راديو ج » ظاهريا كما تنتقد سياسة الحكومة الاسرائيلية .. وقد وسعت هذه الاذاعة رقعتها عندما اعلنت انها لن تقتصر على اليهود بل تسعى الى التعبير عن جميع الحوارات السياسية الجارية في الساحة الفرنسية . ويهتم « راديو شالوم » بالتسلية والموسيقى بالدرجة الاولى وهدفه التعريف بالثقافة اليهودية والصهيونية وتدعى هذه الاذاعة بانها لاتحمل اية رسالة سياسية .

وهناك بالاضافة الى هذه الاذاعات الاربع برامج موجهة الى الجاليات اليهودية المحلية في باريس او المدن الاخرى . ولم يسمح الوقت حتى الان بتكهن شيء معين فيما يتعلق بمستقبل هذه الاذاعات ، وخصوصا مايحمله الفيديو والتلفزيون الحر من امكانيات مقبلة . ولابد من الاشارة الى ان هناك طاقما تقنيا

ضخما يعمل على تسيير اعمال وبرامج الاذاعات الصهيونية المذكورة . وقد لعبت هذه الاذاعات دورا خطيرا في تزييف الحقائق وتضليل الرأي الفرنسي حول ما حصل في صبرا وشاتيلا من مجازر وحشية اقترفتها الصهيونية . وجميع هذه الاذاعات مرتبطة باسرائيل والصهيونية العالمية بشكل من الاشكال ، رغم كل ماتبديه من استقلالية واعتدال وحذر .

ان التأثير الصهيوني يمتد الى الصحافة الفرنسية ايضا ؛ وتفتح وسائل الاعلام الفرنسية بين حين واخر ملف اليهود المقيمين في البلاد العربية وما يعانونه من « قسر واضطهاد » .. أما المصادر التي يستقون منها فهي اقوال اليهود الصهاينة الهاربين من هذه البلاد .. وقد نشرت صحيفة « لوماتان » ملفات من هذا النوع . هناك امثلة عديدة لتعاطف الاعلام الفرنسي مع الصهاينة ، وقد توضح كل ذلك ابان الاحتلال الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ . ويتجاوز مبدأ التعاطف مع اسرائيل في بعض الاحيان اليسار واليمين . وهناك صحف معروفة بمواقفها اليسارية ، ولكنها تظهر نوعامن الميوعة والاهمال في نقل حقائق التدخل الاسرائيلي في لبنان . وقد هاجم احد صحفيي مجلة « الازمنة الحديثة » Temps modernes ، جان ـ كلود لانزمان مراسل صحيفة « لوماتان » في لبنان ، مارك كرافتس ، لانه دافع عن الفلسطينيين . وقد يذهب الحد الى ابعد من ذلك ، فقد نشرت صحيفة « اللوموند » مقالا بعنوان « ان تكون فلسطينيا » Etre Palestinen في ١٦ تموز ١٩٨٢ على انه شهادة من الفلسطينيين على اوضاعهم ؛ وتبين فيما بعد ان كاتب المقال صهيوني . وهناك ردود فعل واضحة في الصحافة الفرنسية فقد نشر مجموعة من الصهاينة مقالا بعنوان « اليهود غاضبون » ، مفاده استغراب تعاطف الشعب الفرنسي مع ليش فاليزيا والشعب البولوني ومع ذلك يتعاطف مع ياسر عرفات و « ارهابييه » !!

وتسعى بعض الصحف والمجلات الاخرى الى تنظيم نشر المواد الصحفية والصور في اوقاتها المناسبة .. ففي الوقت الذي قتل الصهاينة الآلاف من

الفلسطينيين في لبنان ؛ تنشر مجلة « لوي » Lui صورا عارية لجندية اسرائيلية حسناء !!

كما لا تتوانى الصحف اليومية والاسبوعية الفرنسية عن نشر تحقيقات حول اسرائيل على مساحات واسعة من صفحاتها .. خاصة في صحف مثل « لوماتان » و « الكوتيديان دي باري » وغيرها ..

اما دور النشر الفرنسية المتعاطفة مع الصهيونية فهي عديدة ، ونضرب لذلك مثلا السلسلات الثقافية التي تصدرها دار « البان ميشيل » الباريسية ، والتي تستغل المحاور التاريخية والعلمية والادبية لنشر الفكر الصهيوني في فرنسا . ومن هذه السلسلات نتذكر سلسلة معنونة بـ « حضور الدين اليهودي » Persence du Judaisme وتتوزع على الموضوعات التالية : الدين والحياة اليومية (نشرت ضمنه اربعة كتب) والفكر والفلسفة (تسعة كتب) ،

والمختارات (اربعة كتب) ، والتاريخ وعلم الاجتماع (سبعة كتب) ، والادب من روايات وقصص وحكايات (ستة كتب) ، والشعر (ثلاثة مجموعات) والدراسات والسير (اربعة كتب) . وتسعى هذه المنشورات الى تركيز الفكر الصهيوني والدفاع عنه من خلال الحديث عن اوضاع اليهود وتاريخهم وطوائفهم .. الخ . وابرز مثل على ذلك كتاب « اسرائيل والبشرية » و « النشيد الجديد » و « اليهود في العالم » و « الطريق المستقيم » و « شرارات » و « نجوم الصباح » .. وهي تعالج موضوعات متعددة عن تاريخ اسرائيل واوضاع اليهود في الشتات ، والهوية اليهودية وغيرها من الموضوعات .

وما دمنا نتحدث عن النشاط الثقافي والفكري الصهيوني ، لابد من الاشارة الى جمعية « لوبي المؤرخين » الذي تأسس عام ١٩٧٣ ، وحدد اهدافه الرئيسية في اظهار الوجه التاريخي لليهود من خلال التاريخ الفرنسي . ويتظاهر هذا اللوبي بأنه يهتم بالنواحي الثقافية والتاريخية . فهو يتوجه الى اليهود والى الفرنسيين من غير اليهود في آن واحد . ويشرف على هذه المنظمة عدد من الكتاب والمؤرخين الذين

اصدروا كتبا عديدة هدفها تشويه التاريخ وتزييف الحقائق . .

ومما لاشك فيه ان النشاط الصهيوني في فرنسا اخذ بالازدياد والتوسع بعد قرار ديغول على اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ بوقف شحن الاسلحة الى اسرائيل .. وفي هـذا المنـاخ ، بـدأت المنـظمـات اليـهـوديـة السـريـة تـظهـر الى السطح على مختلف الاصعدة . وبالخصوص ، السيطرة على وسائل الاعلام من خلال السيطرة السياسية والاقتصـادية عـلى عدد كبـير من الصحف والمجلات الفرنسية . اضافة الى سيطرتهم على قنوات الاذاعة والتلفزيون وتوجيه البرامج في خدمة الاغراض المرسومة مسبقا وتركز هذه البـرامج عـلى التراجيـديا وعقـدة الشعور بالذنب .. وتجد هذه الموضوعـات صورا مـلائمة في « الهيلوكـوست » النازية لادانة العالم باسره ويتم تنظيم عرض هذه الصور في الوقت المناسب . وبين حين واخر ، تفتح وسائل الاعلام الفرنسية ملف اليهود المقيمين في البلاد العربية وما يعانونه من « اضطهاد » .

ولعلني اتذكر اللقاء الذي نقلته القناة الفرنسية الاولى مع مناحيم بيغن في نوفمبر عام ١٩٨٢ وقد وجه اليه الصحفيون اسئلة تتعلق بضرب المفاعل النووي العراقي والغارة على الاحياء السكنية في بيروت . وكعادة القادة الصهاينة ، اخذ بيغن يتحدث عن مجازر النازية ضد اليهود ليبرر افعاله البربرية .

ولابد ان نتساءل : لماذا تركز الصهيونية العالمية بشكل خاص على يهـود فرنسا ، لا على يهود البلدان الاوربية الاخرى ؟الاجابة تكمن في ان اكبـر جاليـة يهودية في العالم ، بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، تعيش في فرنسا . وتقدر الاحصاءات الرسمية ان عدد اليهـود ٦٠٠ الف . وتبلغ نسبة اليهـود الفرنسيين المتدينين ٢٥ ـ ٢٨ الفا . وان هذا الحجم الكبير لهو دافـع من اهم الدوافع المنظمة العالمية للتركيز على يهود فرنسا واكثر ماتخشاه الصهيونية العالمية حصول الاندماج الكلي مع المجتمع الفـرنسي . وقد وقفت الحـركة الصهيـونية العالمية ، على الدوام ، ضد قرار تجنيس الجالية اليهودية في فرنسا .

ويمكن ملاحظة التوجه الاعلامي ـ الدعائي في مجمل الافلام الوثائقية التي

تحكي قصة الاحتلال الالماني ، فتركز على الغبن الذي لحق باليهود . والهدف من عرض هذه الافلام اظهار الشعور « بعقدة الذنب » التي تسعى الصهيونية ؛ بكافة وسائلها لغرسها في الاذهان . وكلما قامت اسرائيل باعتداء على العرب ، تقوم الاجهزة الصهيونية ببث هذه الافلام ، لكي ينسى العالم وحشية اسرائيل ، وتتركز في ذهنه ذكريات « الهولوكوست » و« عقدة الشعور بالذنب » .

ويعرض التلفزيون الفرنسي بين الحين والاخر افلاما صهيونية ، واضحة الاهداف والمرامي مثل فيلم « القرصان » اخراج كينيث اناكين ، الذي عرض على حلقتين وهو لايظهر من العرب الا صورا مشينة ، والعربي الوحيد الايجابي فيه يهودي الاصل . كما عرضت القناة الثانية المسلسل الشهير عن حياة غولدا مائيير بعنوان « غولدا » الذي لايحتاج الى تعليق . وهناك افلام تلفزيونية مثل « الالم والشفقة » و « ترول .. بترول » وغيرها من الافلام .

ويبث التلفزيون الفرنسي افلاما وثائقية وروائية انتجتها شركات اميركية متخصصة في الدعاية المناهضة للعرب والمعادية لفلسطين . ومما لاشك فيه ، ان اللوبي الصهيوني يلعب دورا كبيرا في ممارسة الضغوطات السياسية ، و « غي روتشيلد » هو احد المنظمين لهذا اللوبي في فرنسا .. وقد صرح مرارا بانه لعب دورا هاما على الصعيد الحكومي لمنع توجيه اية دعوة لزيارة ياسر عرفات باريس .

وتعتمد اساليب الاعلام الصهيوني بوضوح على استراتيجية مزدوجة الاهداف : اولا التركيز على الشعور « بعقدة الذنب » عند الشعب الفرنسي ، وتامين غطاء اعلامي لاعتداءات اسرائيل التوسعية . ثانيا ، زعزعة ثقة اليهود في الانظمة التي يعيشون في ظلها وذلك لدفع يهود الدياسبورا الى الهجرة .

وفي اعتقادنا ان اليهود في فرنسا ، وان كانوا يتميزون بعاداتهم الاجتماعية ، فان هذه الخصوصيات لم ترتق بأي شكل من الاشكال الى مصاف الثقافة القومية المستقلة ولم تنصهر ، وتتفاعل لتكون كياناً خاصا متميزا عن المحيط الاجتماعي والقومي الواسع الذي اندمج فيه اليهودالفرنسيون على صعيد

اللغة والثقافة والانتماء .

ممـا لاشك فيـه ان التخريب الايـديولوجي الذي تمـارسـه الصحـافـة الصهيونية ، ليس امرا طارئا ، وانمـا جزء من استـراتيجية مـدروسة بعمق ، اعتمدتها الصهيونية العالمية ، بمؤسساتها وفرقها وفصائلها المنتشرة .

ومن الصعب اكمال هذه الكلمـة ، دون الاشارة الى الدور الذي تلعبـه المؤسسات الاسرائيلية الممثلة في فـرنسا . وهي تحتـل مكانـة معينة في الوعي اليهودي المعاصر مما ينعكس بعمق على حياة المؤسسات . و « اسرائيل » ، على سبيل المثال ، تعمل على تزويد « الوكالة اليهودية » المنبثقة عن المنظمة الصهيونية العالمية ، بمساعدين دائميين ، كما تشارك في تكوين اطر الجالية رغم انها عاجزة عن تنظيم هجرة مهمة للارض المحتلة . وتمنح السفارة الاسرائيلية اهتماما كبيرا للتطور الداخلي للجالية اليهودية ، وتشجع المبادرات المحليـة . وبالرغم من ان المؤسسات الصهيونية تدعي استقلاليتها الا انها مرتبطة بالصهيونيـة العالميـة وتعيش تمزقا حادا بين الولاء لاسرائيل والتشبث بالجنسية الفرنسية .

– ٤ –

النشاط الثقافي ـ الصهيوني

تحدثنا من قبل عن الصحافة الصهيونية ، وتكملة للفائدة لابد من القـاء بعض الضوء على نشاط الجالية اليهودية الثقافي في فرنسا . فالمعروف جيدا ان الصحيفة وسيلة اتصال جيدة بين بقية يهود العالم . فالصحافة المكتوبة باللغة الفرنسية ظلت نـاجحة حتى عـام ١٩١٣ . واهم صحف ومجلات هـذه الفترة « الارشيف اليهودي لفرنسا » (أسبوعية) Archives israelites de france و « العالم اليهودي » (شـهريـة ومن بعد اصبحت اسبـوعية) L'Univers israelite و « مجلة الدراسـات اليهوديـة » Revue des etudes juives و « الصدى الصـهيـوني » L'Echo sioniste . ومن عـام ١٩٠٧ حتى ١٩١٤ نشطت وتعـددت الصحف والمجـلات الصـادرة باللغـة « اليديشيـة » وتميزت بـاتجاهـاتها السيـاسية المتنـوعـة :

الفوضوية ، والاشتراكية ؛ والصهيونية ، لكن صدورها لم يكن منتظما . فالصحافة اليهودية المكتوبة باللغة الفرنسية لم تكن تتعرض الا للموضوعات اليهودية الخاصة بينما ركزت الصحف اليديشية على الكتابة في الموضوعات الساخنة . ولم تكن هذه الصحافة بشقيها الفرنسي واليديشي ، بعيدة عن طرح الموضوعات الصهيونية والترويج لها بين الحين والاخر .

من الملاحظ ان هذه الصحافة كلما ابتعدت عن طرح الموضوعات الصهيونية ، ظهر كاتب او قائد صهيوني ينبه الى تلك « المخاطر » وخاصة طرح التهديدات التي تسببها عملية الاندماج . في عام ١٩٠٨ كتب روبرت دريفوس قائلا : « يبدو ان يهود فرنسا يتطابقون اكثر من اللزوم مع المجتمع الفرنسي ، ويتشابهون الى حد بعيد مع كل المجاميع والاصول ، واصبحوا غير قادرين على التعبير عن حساسيتهم وافكارهم واتجاهاتهم اليهودية المحضة بحيث عدنا لانجد ذواتنا وانفسنا . » وفي العام نفسه اصدر الشاعر والكاتب اندريه سفير ديوانه « قصائد يهودية » Poemes juifs وفي عام ١٩١٣ ينشر كتابا يضم مجموعة مقالات بعنوان « بعض اليهود » Quelques Juifs . في عام ١٩١١ ، يصدر جان ريتشار بلوخ مجموعة قصصية بعنوان « ليفي » Levy .. ثم ينشر روايته « اي سي » Et Cie عام ١٩١٧ يتحدث فيها عن عائلة « يهودية » من الالزاس تختار عام ١٨٧١ فرنسا وطنا لها . هنري فرانك ينشر عام ١٩١٢ قصيدة طويلة بعنوان « في مواجهة القوس » devant L'arche اما الشاعر ادموند فليك فيصدر عام ١٩١٤ ديوانه « اصغي يا أسرائيل » Ecoute Israel الذي قال عنه موريس ليبر : « ولد بيننا شاعر يهودي ، شاعر اليهودية .. من كان يعتقد ان اليهودية الفرنسية قادرة على انجاب شاعر ؟! »

في تلك الفترة نزل لاول مرة بعض الشعراء والكتاب اليهود من « الغيتو » نحو باريس . وهذا لم يكن يمنع من ان الاخرين من الشعراء والكتاب كانوا يفعلون العكس اي ينتقلون من باريس الى « الغيتو » كما هي حالة الشاعر اندريه

سفير . وفي ما يخص الكتابة اليهودية يمكننا ان نذكر كل من موريس ليبر ، تيودور ريناش ، مايور لامبيرت ، موسى شواب ، اسرائيل ليفي ، وجان جوستر .

ومنذ بدء الهجرة في بداية القرن ، يمكننا ان نذكر اسماء بعض الفنانين اليهود ؛ وخاصة في مجالي الرسم والنحت : ماركوسيس يصل باريس في ١٩٠٣ ، باسين في ١٩٠٥ ، مود لياني في ١٩٠٦ ، ليبشيدز وزادكين في ١٩٠٩ ، كيسلنغ وشاغال في ١٩١٠ . وبعد الحرب العالمية الاولى ، يصل كل من جانكو ، سيغال ، مان كاتز ، بين ، ريباك ، شانا اورلوف ، اتلان . واولئك جاؤوا من ايطاليا ، وبولونيا وليتوانيا (روسيا) ، وبلغاريا ، ورومانيا وافريقيا الشمالية . ومن بين اولئك فنانون عظام امثال مودلياني وشاغال جذبتهم باريس لانها كانت وماتزال مركزا عالميا للفن وخاصة في تلك الفترة التي شهدت باريس ولادة الاتجاهات الفنية المتنوعة كالواقعية والتعبيرية والدادائية والسريالية . ان معظم اولئك الفنانين لم يكونوا يهودا الا من حيث جنسيتهم اما فنهم فكان عالميا دون ان يكون ليهوديتهم دور في الابداع كما يحاول بعض الكتاب والنقاد الصهاينة ان ينظروا لما يسمونه بـ « الفن اليهودي » واختلافه عن بقية الفنون سواء في الاستيحاء او الاسلوب .

اما على صعيد الكتابة ، فان العبرية لم تعد لها مكانة متميزة بل ظلت مقتصرة على العبادات الدينية . وفي فرنسا لم تظهر الا بعض النصوص بين الحين والاخر في الوقت الذي طغت اللغة الفرنسية على الكتابات اليهودية . لكن الصهيونية كانت وماتزال تشجع الكتابة بالعبرية كي لايستسلم الكتاب اليهود الى عملية الاندماج والانصهار . اضافة الى ان هناك عددا من اللهجات التي اختفت مثل لهجة « لادينو » Ladino وهي لهجة يتحدث بها اليهود البرتغاليون وكذلك اللهجة اليهودية المحلية اذ اختفت في عام ١٨٦٠ . اما اللغة اليديشية Yiddish الالزازية فقد عاشت عمرا اطول .

النشاط الملحوظ في هذه الفترة هو النشاطات الفلسفية والدينية التي كانت تنتقد بشدة مواقف « تجمع الكهنة » المعروف بـ Consistoires . ومن ابرز اولئك

الكتاب اليهود ميشيل بير ، ابن بير اسحاق بير . كما ان اغلب اولئك الكتاب ساروا على نهج الاشتراكي الفرنسي المعروف سان سيمون .. ومن المجلات العامة الصادرة انذاك مسيحية الصناعيين catechisme des industriels والمسيحية الجديدة Noureau christianisme .. كانت اشتراكية سان سيمون نوعا من الاشتراكية (الطوباوية) الخيالية . وبالرغم من انه لم يطرح المسألة اليهودية كما طرحها ماركس فيما بعد الا انه اثر على اثنين من اليهود اذ تبنيا افكاره حتى موته عام ١٨٢٥ . وهما عالم الرياضيات اوليند رود ريغيز ، والكاتب ليون هالفي وهو ابن احد الصحفيين القدماء العاملين في صحيفة « اليهودي الفرنسي » Israelite franfais .

ومن بعد الجيل الاول ، ظهر كتاب الجيل الثاني ، وابرزهم : جوزيف سلفادور والكسندر ويل . الاول كان يدعو في كتاباته المتنوعة الى « تآخي اليهود والمسيحيين والمسلمين والعودة الى اصولهم وبناء مدينة القدس مثالا للسلام والتاخي العام » . وادى هذا الرأي الى نقمة الصهيونية على كتاباته فيما بعد . اما الكسندر ويل ، فعلى العكس تماما فقد رفض « التلمود » واحتقر الكهنة والوجهاء . نقل في كتاباته ومذكراته كل تفاصيل الحياة اليومية لليهود الفرنسيين في هذه الحقبة . واي من هذين الكتابين لم يشكلا مدرسة فكرية تذكر .

من بين موجة الكتاب والفنانين ظهر بعض المستشرقين ، ابرزهم : سليمون مونك ، المتخصص بالفكر اليهودي العربي في العصور الوسطى ، والفيلسوف ادولف فرانك اذ انتميا الى « تجمع الكهنة » اما فيما بعد ١٨٧٠ ، بعد ان انصهر غالبية اليهود بالمجتمع الفرنسي ، فقد انحسر الفكر اليهودي ، ولم يكن للجيل الثالث من نتاجات تذكر .

اثناء الجمهورية الثالثة ، ظهر بعض العلماء والجامعيين الذين يولون اهتماماتهم شتى مجالات المعرفة دون التركيز على اليهودية بشكل احادي الجانب وابرزهم جوزيف ديرنبورغ ، وابنه هارتوج ، والاخوان ارسين وجيمس دارميستيتر الذين قدموا تطويرا معينا للدراسات العبرية في عام ١٨٨٠ اسس

الكاهن الكبير زادوك كاهن مجلتين بعنوان « المجتمع » societe و «مجلة الدراسات اليهودية » Revue des Etudes Juives وفيهما نشرت معظم الابحاث والدراسات العبرية انذاك .

لابد من الاشارة الى ان جميع اولئك المفكرين والكتاب تعاملوا مع اليهودية كمادة للدراسة« كفعل حياتي » وهذه هي ابرز انتقادات الصهيونية لنتاجاتهم . وتعتبر الصهيونية ان نتاجاتهم اقتصرت على القاء الضوء على اليهودية الفرنسية دون ان تؤدي نتائجها على الصعيد العالمي » .

ومن ناحية اخرى اكدت الصهيونية على ضرورة اهتمام اليهود بالثقافة الدينية لا بمفهومها الضيق وانما بافاقها الواسعة بما تخدم قضية العودة الى « اسرائيل » كما دعت الى دراسة التوراة وتعليمها للاولاد وغيرها من الدعوات التبشيرية . ومن خلال الدين ، استطاعت الصهيونية في فرنسا ان تجتذب عددا لابأس به من الاعضاء ، وخاصة الشباب ، وعملت على تنظيمهم في عام ١٩٥٢ في « منظمة المجلس التمثيلي » C.R.J.T.F. . وقد دعا « الاتحاد الليبرالي اليهودي » كافة اعضائه الى التخلي عن جزء من برنامجه لعام ١٩٠٦ وتعميق دراسة اليهودية ومعرفتها وكانت الهموم نفسها تلاحق تكوين متحف الفن اليهودي Musee d'Art Juif في باريس . وكذلك مدارس اخرى مثل : مدرسة يابن ، مدرسة اكوبا ، مدرسة جلبرت بلوش ، ومدرسة ياشيفا (المدرسة التلمودية العليا) في فرنسا . وهكذا تأسست مدارس عديدة همها الوحيد تدريس التعاليم اليهودية .

لابد من الاشارة الى ان نشاط الجالية اليهودية الثقافي منذ بدايته حتى الوقت الحاضر ، لم يكن منعزلا عن تركيبة المؤسسات والمنظمات الخاصة بهم ، وعلى الخصوص ، الصهيونية منها .

ان النشاط الثقافي ـ الصهيوني في فرنسا واسع الانتشار للغاية ، وهو لايقتصر ، بطبيعة الحال ، على اليهود الصهاينة فقط وانما يمتد الى مناصري هذه الايديولوجية سواء من المفكرين او المؤسسات . وتستغل الصهيونية كل عملائها

في المؤسسات العلمية لنشر افكارها .. فقد بذلت قصارى جهودها لادخال مادة « اليهودية المعاصرة » في الجامعات . على سبيل المثال ، يشرف الاستاذ دوريس بنسيمون ، على « مجموعة سوسيولوجيا الاديان » التابع لكل من الـ CNRS اي « المركز الوطني للابحاث العلمية » ـ اكبر مركز للبحث في فرنسا ـ و الـ EHESS « المدرسة العليا لدارسات العلوم الاجتماعية » بالتعاون مع الجامعة العبرية في القدس . وهناك مركز ابحاث ضخم اخر وهو « سوفريس » Sofres الذي يركز على الاحصائيات والتحقيقات .

وقد اصبح المثقفون الذين هاجروا من اوربا الوسطى الى فرنسا دعامة هامة في الترويج للنشاط الثقافي ـ الصهيوني في فرنسا ، وخاصة وانهم وجدوا حريتهم في التعبير والعمل . واهم هذه الشخصيات الثقافية والفنية والادبية : ب . هالفين ، ل . شوارتزنبيرك ، جان بيير ميلفيل ، داليو ، اندريه شوارتز ـ بارت ، روجر ايكور ، ليون بولديكوف ، فلاديمير رابي ، اندريه كلكسمان ، ماريك هالتر ، كلارا مالرو ، ايمانيول ليفيناز ، ليونيل ستولريو ، شارك فيترمان ، روبرت بادنتر ، هنري كراسوكي . اولئك المثقفون انقطعوا عن جذورهم واستطاعوا ان يؤسسوا تراثهم من جديد وهذه المجموعة تبلغ حوالي ٢٤٠ الفاً تركزوا في باريس .

يمكننا القول ان النشاط الثقافي ـ الصهيوني لايمكن حصره في مجال معين ، فانه يشمل كافة الميادين : الجامعات ، المدارس ، المكتبات ، المؤسسات العلمية ، دور النشر ، الصحافة ، الاذاعة والتلفزيون والسينما .. وهذا ما سوف نعالجه من خلال كتابات المناصرين للحركة الصهيونية .

الفصل الرابع

التغلغل الصهيوني في فرنسا



-١-

تأثير النفوذ الصهيوني

مما لاشك فيه ان الدول الغربية ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة ، وكذلك الحركة الصهيونية بمؤسساتها المالية والصناعية ، بذلت جهودا جبارة من اجل ترسيخ قاعدة تكنولوجية لولاها لما تمكن الكيان الصهيوني من القيام باعتداءاته المتكررة على اجزاء عديدة من وطننا العربي . والنفوذ الصهيوني كما عرفنا من خلال ما عرضناه من منظماته السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والاجتماعية ، تسلل الى اعلى المناصب في الادارة السياسية الفرنسية . وتمتلك الصهيونية هذه القدرة من خلال امتلاكها سلطة رأس المال . ولم تكتف الدول الغربية الاستعمارية في امداد الكيان الصهيوني بالمعدات والاجهزة الحربية ومختلف الآليات الاخرى بل راحت تمده بكل الخبرات العلمية التي تتطلبها عملية انتاج الاسلحة المعقدة . ومع وصول امدادات الاسلحة الفرنسية في منتصف عام ١٩٥٦ بدأت التكنولوجيا العسكرية الفرنسية تتدفق على الكيان الصهيوني حتى تمكن بعد فترة وجيزة من انتاج الطائرات الفرنسية الاصل . واننا حين نشير الى دور فرنسا لضرورات البحث المفصل ، لاننسى بطبيعة الحال ما يماثلها من ادوار للولايات المتحدة والمانيا وبريطانيا . وهذه السياسة لايمكن ان تنفذ الا من خلال تأثيرات مراكز القوى المتعددة والمنتشرة في كافة الميادين .

عائلة روتشيلد في فرنسا تشكل سلطة قوية تتحكم في اسواق لندن وباريس وروما وبروكسل وجوهانسبورغ وتل ابيب . فعلى حد قول الباحث الفرنسي سيشار ، تكاد عائلة روتشيلد تشكل « حكومة يهودية عالمية » تستطيع التحكم بمصير اهم الشركات الصناعية والتجارية في ثلاث قارات ، اوربا وامريكا واسيا . وبموجب المراجع المذكورة اعلاه يقع في حوزة عائلة روتشيلد رصيد من المال يقدر بـ ٨,١ مليار دولار ويحتل الفرع الانجليزي لعائلة روتشيلد بنك « روتشيلد اندسانس » مواقع قيادية في بورصة العملات في لندن . وفي بلجيكا يمارس بنك

« سوسيتي جنرال » Societe Generale المرتبط بعائلة روتشيلد عملياتـه بنشاط ، وتقدر الاموال التي يملكها في هذا البلد بـ ٤.٢ مليار دولار .

وبالاضافة الى ذلك ، يترأس مارسيل داسو ، احد الممثلين المعروفين للطغمة المالية الصناعية والذي يشكل على حد قول المراقبين الاقتصاديين في فرنسا « دولة داخل دولة » يترأس شركة « داسو » العسكرية الصناعية التي تنتج طائـرات الميراج . وداسو هذا معروف بتحمسه الشديد للصهيونية وللكيان الصهيوني وهو احد رموز مراكز القوى في فرنسا التي تضغط على الحكومة باتجاه دعم مواقف « اسرائيل » شرق اوسطيا ودوليا .

وهنـاك صناعي فـرنسي اخر معـروف بميوله الصهيـونيـة وهـو مسيـو « شبيلوف » الذي يشرف على شركة « توريامك » . قام هذا الصناعي الكبير ببناء مصنع لانتاج المحركات النفاثة قـرب تل ابيب وذلك وبـالاشتراك مـع الشركـة الاسرائيلية « اير كرافت اندوستريز ».

لعبت فرنسا دورا كبيرا في تأسيس وانشاء القاعدة التكنولوجيـة للكيان الصهيوني .ويرجع هذا التعاون العسكري الفرنسي ـ الاسرائيـلي الى العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ واستمراره حتى عام ١٩٦٧ عندما اعلنت فرنسا تحت قيادة الجنرال ديغول حظر تصدير وشحن الاسلحة للكيان الصهيوني . وعلى مدى احد عشر عاما من التعاون العسكري ، استطاع الكيان الصهيوني ان يحقق تقنيات عـالية في مجـال التصنيع الحـربي . ومن ابرز منجـزات التعاون الفـرنسي ـ الصهيوني ما يلي :

١ ـ ساهمت فرنسا في انشاء صناعة جوية صهيونية واعطتها ترخيصا لانتـاج طائرة الفوجا ميجيستير ومستير وقطع غيار الطائرات . [صحيفة معاريف ٢٦ ـ ٩ ـ ١٩٧٥ ـ مجلة ـ آفـاق عـربيـة ـ العـدد ٧ اذار ١٩٧٩ .

ص ١٠ ـ ١٥]

٢ ـ لعبت شركة داسو الفرنسية دورا هاما في تعزيز الصناعة الجوية الصهيونية عن طريق انتاج طائرات « الميراج » داخل الكيان الصهيوني .

٣ ـ خلقت فرنسا صناعة الاسلحة المتطورة مثل الصواريخ بعيدة المدى والزوارق الحاملة للصواريخ . وقد تم تطوير الصواريخ المعروفة بارض ارض من خلال تعاون الكيان الصهيوني وشركة مارسيل داسو بموافقة الحكومة الفرنسية . ومن اهم هذه الصواريخ طراز (٦٦٠ م .د . ٦٢٠ م.د) الذي يبلغ مدى كل واحد منه حوالي ٤٥٠ كلم .

٤ ـ اما في الحقل النووي فقد بدأ التعاون الفرنسي ـ الصهيوني في الخمسينات حين اقاموا مفاعلا نوويا في «ديمونـه» ويعترف الكيان الصهيوني بانه لولا المساعدة الفرنسية في المجال العسكري والنووي لما استطاع ان يصمد في حرب ١٩٥٦ و١٩٦٧ وقد تقلب ا' مجالات 'لفرنسي ازاء الكيان الصهيوني نتيجة لتطور الاحداث .

ان موقف الجنرال ديغول ازاء الكيان الصهيوني منذ حرب حزيران ١٩٦٧ مايزال جوهر ومدار مناقشات ومجادلات حادة بين مختلف القوى والاحزاب السياسية الفرنسية . وقد قيل عن هذا الموقف بأنه يعبر عن « انقطاع اخلاقي » مع « اسرائيل » . وموقف ديغول كما قلنا اثار تحليل ونقد المراقبين السياسيين . وغالبا ماكانوا يعتبرونه ينبع من اتجاهات متناقضة منها : اتجاه مناصر للعرب او اتجاه معاد للسامية او اتجاه وطني صرف . وهكذا بالنسبة لوزير اعلامه المفكر والروائي الكبير اندريه مالرو الذي لم يخف تعاطفه الشديد مع الصهيونية انذاك اذ قال : « انبثقت دولة اسرائيل من الشجاعة التي كان يتحلى بها رواد الحركة الصهيونية وبدون هذه الشجاعة لم تكن للاموال المتوافدة من الولايات المتحدة اية فائدة تذكر . وبدونها ايضا لم تغادر الايديولوجية الصهيونية الاراضي الاوربية حيث ولدت وترعرعت . ان الامم الشهيدة امم ضحايا ، وتاريخ اسرائيل يبدأ من

لحظة خضوعها للقوانين الفارسية التي كانت تجعل ، اليهود يدفعون ديونهم بالعملة السوداء ثمن الدم اليهودي ، الى اخر معاركهم في فرصوفيا حيث ناضلوا بدون امل من اجل الشرف الذي ولد في فلسطين بالقدس المحاصرة وفي عزلة مزارع النقب المهددة » ان هذا الموقف العجيب لمفكر كبير كمالرو يدفعنا للاعتقاد بأنه لم يفهم الطبيعة العدائية والنزعة العنصرية للصهيونية ، وراح يؤيدها من موقعه الادبي والرسمي شأنه شأن كبار الكتاب والمفكرين امثال سارتر وريمون ارون وغيرهم . واذا كان مالرو يؤمن بـ « الامم الشهيدة » على حد تعبيره ، فأنه ينسى المجازر الوحشية التي اقترفها الصهاينة في بداية اعمالهم الارهابية بحق الشعب الفلسطيني . وربما يثبت التاريخ اية امة اصبحت شهيدة ؟! لقد ايد الجنرال ديغول تكوين دولة صهيونية يستطيع فيها اليهود ان يتمتعوا باستقلالهم كما شجعهم في ايام ازمة قناة السويس على التشبث بالاراضي التي اقتحموها في سيناء . وكذلك زود اسرائيل بالطائرات التي تضمن حمايتها . ولهذا السبب فقد اثار خطاب ديغول الشهير على اعقاب نكسة حزيران استغراب وادانة الديغوليين التقليديين الذين لم يستوعبوا تقلبات اراء ديغول ومواقفه السياسية . واعتبروا موقفه هذا مناورة للاقتراب من الدول العربية انطلاقا من الاعتبارات المصلحية . لذا عبر عدد كبير من بين صفوف الديغوليين عن يأسهم من السياسة الديغولية الخارجية . ولم يتردد اعرق مناصري ديغول في ادانته علنا مما يدل على مدى تأثير نفوذ الصهيونية على الساحة السياسية الفرنسية انذاك . كما استطاعت في الوقت ذاته ان تقلل من القيمة السياسية لشخصية تاريخية كشخصية الجنرال ديغول في نظر شعبه الذي اصبح يتمنى تعويضه برئيس اخر .

أما الرئيس جورج بومبيدو الذي تولى السلطة بعد الجنرال ديغول ، فقد تميز بمفاهيم مختلفة فيما يتعلق بدور فرنسا في الشؤون الدولية . غير انه لم يتوقف عن مساعدة الكيان الصهيوني وذلك من اجل تهدئة الرأي العام الفرنسي المناصر للصهيونية فقد عمل على توطيد علاقة فرنسا بالدول العربية انطلاقا من

المصالح التجارية والاقتصادية ولم تفسح وفاة الرئيس بومبيدو المبكرة بالنسبة لفترة رئاسته بعد اشهر قليلة من حرب تشرين ١٩٧٣، لم تفسح مجالا لايضاح موقفه من الصهيونية ومن ازمة الشرق الاوسط عامة . ويمكن القول انه اتبع طريق سلفه .

اما مجيء الرئيس جيسكار دي ستان الى السلطة فقد شكل نوعا من الانعطاف في سياسة فرنسا تجاه ازمة الشرق الاوسط اذ كانت اول مبادرة تقوم بها الحكومة الفرنسية في ايفاد وزير خارجيتها سوفينيارك ، الى بيروت لمقابلة ياسر عرفات كما شهدت فترة رئاسته فتح مكتب رسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية لاول مرة في باريس . وتميزت في هذه الفترة السياسة الفرنسية بأتجاهها العادل . نوعا ما فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط اذ لم ينس العرب تصريح الرئيس دي ستان خلال احدى رحلاته الى الدولة العربية ، موضحا : بأنه يدافع عن حق تقرير المصير فيما يخص الشعب الفلسطيني . ولم يعن ذلك تضاؤل او تقلص نفوذ الحركة الصهيونية في فرنسا بحيث يعجز المرء عن تفسير كل المبادرات السابق ذكرها انطلاقا من ارادة الدفاع عن مصالح معينة او انطلاقا من تعاطف حقيقي مع قضية الشعب العربي . ومما يثير التساؤل الزيارة التي قام بها الرئيس دي ستان الى الكيان الصهيوني بعد هزيمته في انتخابات عام ١٩٨١ والتي اكد فيها تعاطفه مع الدويلة الصهيونية .

ومن المعروف لدى الجميع ، بان تصويت الغالبية الساحقة للجالية اليهودية لصالح المرشح فرانسوا ميتران سنة ١٩٨١ يعود الى ان الحزب الاشتراكي الفرنسي لايخفي ابدا تعاطفه المطلق مع الكيان الصهيوني عبر تاريخه وحسب ادعاءات الاشتراكيين الاوربيين عامة ينبثق هذا التعاطف من تقارب وجهات النظر بينهم وبين رواد الحركة الصهيونية التي ادعت بان جوهر الصهيونية هو الاشتراكية . ويؤكد باستمرار المسؤولون الفرنسيون على عدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ما دامت ترفض الاعتراف بالكيان

الصهيوني . وهذا ليس بالامر الجديد غير انه خيب الامال لدى الاوساط التقدمية الفرنسية التي كانت ترى في وصول الاشتراكيين الى السلطة فاتحة جديدة امام مصالح وقضايا العالم الثالث . اما زيارة الرئيس ميتران الى الكيان الصهيوني ، وهي اول زيارة يقوم بها رئيس جمهورية فرنسي ، فقد اثارت عاصفة من النقد التأييد . والرئيس الفرنسي وعد « اسرائيل » بزيارتها وهو مايزال في طور الترشيح للرئاسة ، وقبل ان يصبح في قصر « الاليزيه» . ولابد من الاشارة هنا الى العواطف التاريخية لدى ميتران عندما اعلن بنفسه اعتراف فرنسا بالدولة الصهيونية بأسم ايام العهد الاشتراكي الاول بعيد الحرب العالمية الثانية . ومما يؤكد نفوذ اللوبي الصهيوني في فرنسا ، وبالذات داخل الحزب الاشتراكي الحاكم ، اخر تصريحات السكرتير العام والناطق الرسمي بلسان الحزب الاشتراكي ، ليونيل جوسان ، التي قال فيها انه لايرى مانعا من نقل السفارة الفرنسية في اسرائيل الى القدس المحتلة لانها اكثر جمالية !!

واذا القينا نظرة خاطفة على دور اليهود في الانتخابات الفرنسية ، نلاحظ ان التصويت اليهودي في الانتخا بات الرئاسية الاخيرة كانت لصالح اليسار الاشتراكي وذلك بسبب تصريحات القادة الاشتراكيين ومناصرتهم للكيان الصهيوني . وبلغت نسبة التصويت ٦٥٪ من المنتخبين غير اننا لاحظنا خلال الانتخابات البلدية التي جرت عام ١٩٨٣ بان اتجاههم قد انحرف نحو اليمين . يدل ذلك على ان الجالية اليهودية الفرنسية بصفة عامة وبسبب ازدواجية ولائها (فرنسا و« واسرائيل») ، لاترتكز في تصويتها على اعتبارات فكرية بحتة بل على مدى تعاطف الاحزاب والحكومات مع الكيان الصهيوني . ويمكن تاويل هذا الانحراف نحو اليمين بمسألة المناقشات حول مصير المدارس الحرة اذ هناك مبادرة حكومية تعمل على توحيد نظام التعليم الفرنسي ، وجعله نظاما علمانيا عاما مما يهدد المدارس اليهودية المنتشرة في انحاء فرنسا . المحاولة الحكومية المذكورة قد تهدد المناهج التربوية اليهودية المحددة بالاطر الدينية التقليدية المعروفة فيما

يخص الاجيال القادمة .

من الملاحظ ايضا ان انقسام المنتخبين بين اليمين واليسار يصاحبه الانتماء الى الطبقات الاجتماعية والمهنية لليهود . وفي احصائية حديثة اجريت على نموذج من مائة يهودي ممن يصوت لصالح اليسار تبين ان تركيبهم الاجتماعي والطبقي يتكون من ٢٥٪ كوادر متوسطة ، ٢٧٪ كوادر عليا ، ١٦٪ بدون مهن او متقاعدين ، ١٣,٥٪ موظفين ، ٦,٦٪ مهن حرة ، ٣٪ عمال [الاحصائيات ماخوذة من صحيفة اللوموند ، ١٢ ـ١٣ ، شباط ١٩٨٤] . اما النموذج الاخر من المصوتين لصالح اليمين وهم مائة ايضا تبين ان تركيبهم يتكون من : ١٤,٥٪ صناعيين وتجار وحرفيين ، ١٩,٥٪ مهن حرة ، ٢١,٥٪ كوادر متوسطة ، ١٢,٥٪ عمالاً وموظفين .

نستنتج اذن ان اليهود يشكلون جالية محظوظة من حيث العناية الخاصة التي تشملهم ويرجع اصل هذه الظاهرة كما قلنا الى تصريح الجنرال ديغول عقب حرب حزيران اذ اصبح شغلهم الشاغل مصير اليهود المرتبط بالكيان الصهيوني . ففي عام ١٩٨٠ ، ومع ظهور « منظمة الانبعاث اليهودي » طالب اليهود الفرنسيون باحقية اختلافهم عن بقية المصوتين الاخرين . لابد من ان نذكر بان رئيس هذه المنظمة نادى بضرورة خلق ماسماه بـ « التصويت اليهودي» Vote juif ومع مرور الزمن ، تتوسع هذه الجالية وتتقوى بين صفوفها الحركة الصهيونية مما يمكنها ان تؤثر بشكل فاعل وجذري في توجيه القرارات الحكومية وكذلك في مسار الانتخابات .

الرأي العام الفرنسي تجاه الصهيونية

ظهرت مسألة اسرائيل منذ ايار ١٩٦٧ على الساحة الفرنسية كظاهرة اخذت تهم الرأي العام الفرنسي وذلك عبر المواقف والكتب والمظاهرات والتحقيقات . وبرزت هذه الظاهرة الجديدة وعلى الاخص عند الديغوليين والاحزاب السياسية الاخرى . ترى ماهي ردود فعل الرأي العام الفرنسي فيما

يتعلق بحربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ ؟ كذلك مـاتعكسه هـذه الردود من مواقف واراء بالنسبة للقضية الفلسطينية ؟ اذا القينا نظرة خاطفة على المناقشات في تلك الفترة في الوسائل السمعية - البصرية ، نلاحظ انها تتميز بجو من التوتر والارتباك والغموض احيانا ، خاصة وان هيمنة الصهيونية على الوسائل الاعلامية المختلفة لايمكن اخفاؤه بأي شكل من الاشكال .

يمكن ملاحظة ميزتين هامتين في الرأي العام الفرنسي :
اولا : تـعـلق الرأي العام بفكرة السلام وما توحيها من ابعاد سياسية وفكرية .
ثانيا : تفضيل « اسرائيـل » في الغالب بـاعتبارهـا نموذجـا اوربيا في الشـرق الاوسط .

قبل حرب حزيران ، اكدت الحكومة الفرنسية عدم انحيـازها الى اي من الطرفين وحسب الاحصائيات التي نشرت انـذاك في الصحف والمجلات ، وافق ٥١٪ من الفرنسيين على هذا القرار . واما النسبة المتبقية ٤٩٪ فقد ابدت رايها بضرورة عدم تزويد اي من الطرفين بالاسلحة .
[احصائيات من وثائق مركز الدراسات اليهودية بباريس] .
لاول مرة عبر الرأي العـام الفرنسي عن تحفـظاته ازاء سيـاسة ديغـول الخارجية انطلاقا من احداث الشرق الاوسط ، وعلى الخصوص حرب حزيران . تشير الاحصائيات الى انخفاض عدد مؤيدي هذه السياسة من ٥٤٪ في اب ١٩٦٧ الى ٣١٪ في كانون الثاني ١٩٦٩ .

يعود انعطاف الرأي العام الفرنسي الى اسبـاب عميقة داخليـة في تركيب التفكير الفرنسي ، بالدرجة الاولى ، تواجد عقـدة الشعور بـالذنب عند اغلبيـة الاوربيين وتلعب الصهيونية على تحريكها واستـدرار العواطف السـاذجة منـذ احداث الحرب العالمية الثانية الى الوقت الحاضر . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لعبت الصهيونية على وتر الاشادة بالمنجزات الاجتماعية والاقتصـادية

داخل اسرائيل باعتبارها تجربة اوربية بحته في الشرق الاوسط . اضافة الى ادعاءاتها المزيفة حول « الشكل الديمقراطي » الذي لايميز « اسرائيل » عن الاشكال الديمقراطية السائدة في الانظمة الاوربية . الهدف الذي تريد تحقيقه الصهيونية من ذلك هو خلق الروابط النفسية ـ الفكرية بين اليهود داخل الكيان الصهيوني والمواطنين داخل البلدان الاوربية . وبالتالي فان الدفاع عن « اسرائيل » يتحول الى دفاع عن نموذج اوربي مهدد بالفناء .. وذلك يعني فناء التجربة والنموذج في ان واحد . يضاف الى ذلك وجود تضامن جذري بين اليهود الفرنسيين مع يهود اسرائيل .

من الاسباب المباشرة لهذا التعاطف الفرنسي ـ الاسرائيلي ، يمكننا ذكر مسألة السويس عام ١٩٥٦ التي عملت على تقارب « الشعبين الفرنسي والاسرائيلي » . كما ولدت حرب الجزائر عند غالبية الفرنسيين حقدا وكراهية ازاء العرب . ولابد من الاشارة الى التظاهرات الضخمة التي جرت في فرنسا تضامنا مع « اسرائيل » قبيل حرب حزيران ، منها تظاهرة قامت في باريس جمعت ٣ الاف شخص بينهم شخصيات سياسية من مختلف الاتجاهات اليمينية واليسارية وكذلك بعض الكتاب والفنانين . هذا التعاطف ترجم الى افعال متعددة منها: توافد عدد كبير من المتطوعين على السفارة الاسرائيلية في باريس للالتحاق بالجيش الاسرائيلي كما جمع الفرنسيون المتعاطفون مع الكيان الصهيوني مبلغا قدره عشرة ملايين فرنك خلال ثلاثة ايام .

تشير احدى الاحصائيات التي اجريت عام ١٩٦٧ والتي نشرتها الصحف الفرنسية ، الى ان عدد المتعاطفين مع « اسرائيل » في فرنسا كان يتراوح بين ٥٦ ـ ٥٨٪ . اما عدد المتعاطفين مع العرب فلم تتجاوز نسبتهم ٢٪ . تدل هذه النسبة بشكل لايقبل الشك ، على مدى تغلغل الدعاية الصهيونية في الرأي العام الفرنسي . وقد اثار قرار الجنرال ديغول بقطع شحن الاسلحة الى الاطراف المتحاربة ، موجة من الاحتجاجات داخل الرأي العام الفرنسي الذي اعتبر

« اسرائيل » المقصودة بهذا القرار بالدرجة الاولى . في كانون الثاني ١٩٧٠ ، اثار بيع الحكومة الفرنسية طائرات ميراج للحكومة الليبية ، موجة اكبر من الاحتجاجات لان الرأي العام الفرنسي اعتقد ان كافة البلدان العربية قد تشارك في الحرب وليس مصـــــر الاردن وسوريا التي قاطعها الجنرال ديغول ومنع عنها تصدير

خلال حرب تشرين ، عبر ٥٥٪ من الفرنسيين عن عدم رضاهم على السياسة الفرنسية في المنطقة اذ اعتبروها مناصرة للعرب . اما عدد المتعاطفين مع العرب ، فقد عرف تطورا تحول من ٢٪ عام ١٩٦٧ الى ١٦٪ في ١٩٧٣ .

بينما يعتبر الرأي العام الفرنسي بنسبة ٥١٪ ان العرب مسؤولون عن حرب حزيران ١٩٦٧ . اما النسبة المتبقية ٤٩٪ فانها تدين سياسة ديغول المناصرة للقضية الفلسطينية بعد حرب حزيران .

الفرنسيين يتعاطفون من اسرائيل مقابل ١٦٪ ممن يؤيدون العرب و ٣٠٪ لايهمهم الامر و ٨٪ من المتعاطفين مع الطرفين .

لايمكن باي شكل من الاشكال اهمال دور يهود فرنسا في تحويل الرأي العام الفرنسي الى رأي متعاطف بشكل مطلق مع الكيان الصهيوني . هكذا تاسست في اذار ١٩٦٧ « هيئة التضامن الفرنسي ـ الاسرائيلي » Comite de Solidarite francais avec Israel . التي نظمت تظاهرات ضخمة جمعت الالوف من الاشخاص ، وعملت على نشر وتجميع نداءات وتوقيعات لصالح « اسـرائيل » . كمـا حاولت انـذاك الضغط على الحكومة الفرنسية لدفعها الى اتخاذ قرارات ومواقف مناصرة للكيان الصهيوني . الى جانب هذه الهيئة ، برزت على لساحة الفرنسية هيئات ومنظمات اخرى منها « الرابطة الفرنسية ـ الاسرائيلية » Alliance France — Israel التي تضم بين صفوفها وجوها سياسية معروفة مثل ميشيل بونيا توفسكي ، وزير الداخلية في عهد جيسكار دي ستان ، وجان ليكانيويه ، السياسي المعروف واخرين . اعتبرت هيئة التضامن المذكورة وسياستها لوبيا حقيقيا وبالتالي عبارة عن تركيب دائم من اجل ترسيخ وتطوير العلاقات بين الشخصيات السياسية الفرنسية والاسرائيلية

اجل ترسيخ وتطوير العلاقات بين الشخصيات السياسية منقسمة بهذا الشأن .

بالرغم من تعاطف الرأي العام الفرنسي بغالبيته الى جانب اسرائيل بقية الشخصيات السياسية منقسمة بهذا الشأن .

فالشخصيات السياسية في الوسط هي الاكثر تعاطفا مع الكيان الصهيوني نذكر منها : جان ليكانيويه ، الن بوير . اما الاشتراكيون فينقسمون الى تيارين متنازعين حول الموقف من « اسرائيل » التيار المناصر ويمثله كل من غاستون ديفير ، وزير الداخلية الحالي ، وجي موليه ، وزير سابق ، وجان بوبرين ، رئيس المجموعة الاشتراكية في البرلمان الفرنسي ، وبيير موروا ، رئيس الوزراء السابق بينما يمثل التيار المعارض لاسرائيل كل من جان - بيير شوفينما ، وزير حالي ، وبيير جوكس . امـا الرئيس ميتران فلم يخف منذ عام ١٩٧٣ مناصرته « لاسرائيل » ويؤكد على ضرورة توفير الحدود الامنة لها .

ان ظاهرة الاهتمام بأمور السياسة الخارجية تبقى مسألة استثنائية اذ نادرا ما تلعب دورا كبيرا في اهتمامات الفرنسيين الانتخابية بينما ينصب اهتمامهم على المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الداخلية . اما مسألة الشرق الاوسط فقد دخلت في الحياة السياسية الفرنسية بشكل مفاجىء ولم يكن من المتوقع ان تثير هذا الصدى الواسع .

مع تطور الاحداث السياسية في المنطقة ، اصبحت ازمة الشرق الاوسط واحدامن المحاور الهامة في الحملة الانتخابية الرئاسية عام ١٩٦٩ عند استقالة ديغول .

في هذه الفترة بالذات ، استطاعت الصهيونية ان تسيطر سيطرة تامة على اجهزة الاعلام الفرنسية ، وتؤثر على الرأي العام الفرنسي لصالح « اسرائيل » . في تلك الفترة ، صرحت شخصية سياسية معروفة «بان الاوساط المتصهينة في فرنسا بذلت جهودا كبيرة وصرفت اموالا طائلة للاسراع في استقالة الجنرال ديغول .»

من نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ ، ازداد عدد اليهود الفرنسيين المناصرين

للكيان الصهيوني الذين اصبحوا يتصورون أن مصيرهم انما يرتبط بمصير « اسرائيل » . اما غالبيتهم فيعتبرون انفسهم مجرد مواطنين فرنسيين لاعلاقة لهم بالنزعات الخارجية . وقد شجع الرأي العام الفرنسي الجالية اليهودية على التحرك السياسي بعد حرب حزيران . وهكذا اصبح المرشحون الفرنسيون للرئاسة يستخدمون ازمة الشرق الاوسط كأحد المحاور في توجيه التصويت عند الفرنسيين ومن ناحية اخرى ، نجح اليهود الفرنسيون في اقناع الرأي العام الفرنسي بأن « اسرائيل » ليست سوى دولة صغيرة « مسالمة » يحيطها « اعداء متوحشون » . وهذا الرأي هو السائد بفعل الدعاية الصهيونية المنصبة في قنوات مؤثرة ومتعددة .

لابد من الاشارة الى ان هذه الدعاية كانت مؤثرة على الدوام .. قبل اندلاع حرب حزيران ، صدر عن « التجمع الفرنسي من اجل اسرائيل » Rassemblement Fracais pour Israel بيان جاء فيه : « من المستحيل مراقبة الجماعات المتعصبة التي تكن لاسرائيل عداء مميتا . هناك عدد لايحصى من الفرنسين مستعدون لمساعدة « اسرائيل » بشتى الطرق والوسائل ، لايمانهم بان « اسرائيل » دولة تنتمي الى منظمة الامم المتحدة . يضاف الى ذلك ان شعبها عاش الاضطهاد والتعسف ، وكان يامل ان يجد له ملجأ آمنا . يهدف تجمعنا الى تعبئة المتطوعين الفرنسيين وارسالهم الى « اسرائيل » للتعويض في الحقول والمصانع عن « الاسرائيليين » الذين كانوا يحاربون انذاك . »

يسعى هذا التجمع الفرنسي ـ الاسرائيلي الى التأثير على الرأي العام الفرنسي بشتى الوسائل الاعلامية والثقافية ، منطلقا من الاسس التي تستند اليها الصهيونية . الا ان التجمع المذكور يتناسى ان اليهود لم يعرفوا الاضطهاد والتعسف الا على ايدي الاوربيين وهذه الدعوة ليست الا محاولة للتخلص من عقدة « الشعور بالذنب » .

الامثلة عديدة فيما يخص تغلغل الدعاية الصهيونية في الرأي العام الفرنسي .

والغريب ان الاغلبية الساحقة من الشعب الفرنسي ، تبقى مقتنعة في صميمها بان « اسرائيل » ليست سوى ضحية لجيرانها ـ الدول العربية ـ !!

من المؤسف حقا ان يخضع الفرنسيون لعملية تشويه الحقائق وتزييف التاريخ من خلال الوسائل الاعلامية والثقافية . لقد بذلت الدعاية الصهيونية جهودا كبيرة في ترسيخ انماط معينة من شخصية العربي في اذهان الفرنسيين . فالعربي في اذهانهم اما ان يكون « مليونيرا » او « عاملا مهاجرا » في المصانع الفرنسية او « ارهابيا » . لاتستطيع العقلية السائدة الا ان ترى صورة نمطية للعربي ، خاصة وان الرأي العام يستقي كل معلوماته من المصادر السمعية ـ البصرية او المصادر المكتوبة .

يبدو من الصعب تغيير او زحزحة قناعة الرأي العام الفرنسي فيما يتعلق بالصراع العربي ـ الصهيوني ، مادامت الصورة النمطية للعربي سائدة في مختلف الميادين . اننا امام عملية غسل جمعي للدماغ تعمل الصهيونية على تنفيذها في جميع المراحل .

بين هذين التاريخين ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ ، تطورت الحركة الصهيونية . مستندة الى تطور الاحداث السياسية في الشرق الاوسط وغياب الاعلام العربي الفاعل في اوربا على العموم .

ـ ٣ ـ
المعارضون للصهيونية من المفكرين اليهود الفرنسيين

مصطلحات عديدة اطلقها الكتاب الصهاينة على زملائهم الذين يخالفونهم الرأي .. مصطلحات شائعة مثل « كابوس » kapos وهو الاسم الذي كان يطلق على الحراس اليهود في معسكرات الابادة اثناء الاحتلال النازي ، « ويهود الجنسية » Juif de vitrine .. كذلك وصفوهم بنعوت اخرى مثل « تدمير الذات » autodestruction و كراهية الذات » haine de soi و « الخيانة » trahison وما الى ذلك من قائمة السباب والشتائم لماذا ؟ ببساطة لان اولئك الكتاب اليهود الشرفاء قالوا كلمة الحق ،

وعارضوا اسرائيل في قيامها غير المشروع .. اضافة الى انهم ساندوا قضية الشعب الفلسطيني . اولئك الكتاب الشرفاء هم : ماكسيم رودنسون ، فرانسيز كريميو ، ناثان وينستوك ، ايريك رولو ، آنيا فرانكوس ، ايما نيويل ليفين ، م. روسنكار ، جيروم لندن وغيرهم .

تتهم الصهيونية اول ماتتهم اولئك الكتاب بانهم تخلوا عن دينهم اليهودي من اجل اعتناق فكرة سياسية او فلسفية او ايديولوجية . وتعتبر ذلك نوعا من « السقوط الاخلاقي » ! وهذه المسالة ليست بجديدة فمنذ عام ١٢٤٠ م عندما نادى احد اليهود « المرتدين » نيكولا دونين بضرورة قراءة التلمود ونقده نقدا موضوعيا اثار حفيظة عدد هائل من الكهنة المتعصبين في باريس . وكذلك عندما اسس درومو صحيفته الشهيرة « الكلام الحر » la Libre Parole بالمعونة المالية التي قدمها له اليهودي « المهتدي » غاستون ويلارد .

في السنوات التالية ، ينظم اليهودي ارثر ماير الى جانب الرأي المعادي لقضية « دريفوس » ! الصهيونية لاتسامح في هذا الميدان ، وتعتبر كل من يخالف رأيها من اليهود « خائنا لشعبه » ! وبالتالي فانه معاد لاسرائيل ! وما يثير الصهيونية هو الرأي المخالف لاولئك الكتاب اليهود بقضية الصراع العربي - الاسرائيلي ، وتاثيراتهم بالتالي على الراي العام العالمي ، خصوصا عندما يعتقد اولئك الكتاب الا مبرر لوجود اسرائيل ، وان اليهود ليسوا بحاجة الى دولة ؛ وينبغي على الاسرائيليين الا يحتلوا ارض فلسطين بالذات . تعتقد الصهيونية ان سلوك اولئك الكتاب قائم على اساس ارضاء العرب وتتهم الصهيونية اولئك الكتاب بالعداء للسامية مباشرة دون تمحيص او وعي .

يعتبر المفكر الفرنسي المعروف مكسيم رودنسون (من اصل يهودي) من اوائل المفكرين الذين تصدوا للصهيونية ، وفضحوا مراميها التوسعية وذلك في عدد من كتبه وخاصة في كتابه الهام « شعب يهودي ام مشكلة يهودية ؟ » تنبري الصهيونية لكي تكيل الحقد والكراهية لهذا المفكر الحر . كتب المفكر الايطالي

المتعاطف مع الصهيونية ، ريسارديتو ، في مجلته epoca التي يرأس تحريرها قائلا : رودنسون يهودي من اصل روسي على ما اعتقد ، كرس حياته ليحارب شعبه : انه يهودي معاد للسامية فهذه الحالة ليست جديدة وليست نادرة في التاريخ اليهودي . ومهما كانت هذه الحالة قديمة وجارية فانها تثير الحزن والاشمئزاز . ان يشعر يهودي بانه غريب على شعبه . ذلك شيء غير مقبول . انها مسألة وعي لا اكثر ولا اقل . ان يحارب شعبه .. ذلك امر «مرعب» . بهذه العبارات الرنانة ، يحاول الرأي الصهيوني تزييف فكر الاخرين وتشويهه لا لشيء الا لأن هذا الرجل لا يتفق مع عمليات الاضطهاد في الارض المحتلة . ولايحاول الفكر الصهيوني ان يناقش اراء رودنسون ومفاهيمه الفكرية والسياسية لانه غير قادر على دحضها او محاججتها . كشف رودنسون ابعاد الصهيونية في مقالته الشهيرة « الصهيونية والاشتراكية » التي نشرها في مجلة « النقد الجديد » Nouvelle Critique شهر شباط ١٩٥٣م . ووقف انذاك موقفا عظيما تجاه جميع الصحف والمجلات اليمينية المتعاطفة مع الصهيونية امثال « الفيغارو » Figaro و « الاورور » Aurore و « الاوبسر فاتير » Observateur و« اسبري » Espirit . وتعتمد تفسيرات رودنسون على التفريق بين العداء للسامية والعداء للصهيونية . كتب رودنسون بهذا الصدد مقالة بعنوان « اكذوبة العداء للسامية في الاتحاد السوفيتي » قائلا : « ان يهود الاتحاد السوفيتي ابتهجوا بلا شك ، لكل الحريات التي حصل عليها جميع المواطنين . وكان باستطاعة من يرغب ان يحافظ على التقاليد الدينية الخاصة . وقد شكلت جميع الطوائف ، والصغيرة منها ، كاليهود الذين يتكلمون ـ اليديشية ـ مركزا يهوديا ، بالمدارس والمحاكم واللغة التي اصبحت رسمية فيما بعد . » بيد ان قول الحقيقة اغاظ الصهيونية لانها لاتريد ان ترى يهود العالم يعيشون حياة طبيعية . فالصهيونية تهدف الى دفع اليهود للهجرة الى « اسرائيل » دائما . كانت الصهيونية تتهم رودنسون بالترويج الدعائي للاتحاد السوفيتي .

ان ما اثار الصهيونية وافقدها صوابها هو مقال رودنسون الشهير « اسرائيل حقيقة استعمارية » Israel fait colonial يشرح فيها الاسس الاستعمارية التي قامت عليها اسرائيل .

كان رودنسون يتوقع كل تحركات « اسرائيل » الاستعمارية فقد كتب قبل وقوع حرب حزيران ١٩٦٧ ، مقالا هاما عن الصراع العربي الاسرائيلي نشرته مجلة الازمنة الحديثة « Temps Modernes . وفي اماكن اخرى يؤكد رودنسون بتحليله الدقيق لاسرائيل كحقيقة استعمارية قائلا : « من المشروع ان يعتبر العرب زراعة عنصر اجنبي جديد في ارض فلسطين ـ عنصر اوربي في غالبيته انذاك ـ لم تفرضه الا القوة الاوربية » ويضيف : « ان تكوين دولة اسرائيل على الارض الفلسطينية ليست الا نتيجة لعمليات ارتبطت تماما بالحركة الاوربية ـ الامريكية الكبيرة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين للسيطرة اقتصاديا على الشعوب الاخرى . » بعد ذلك ، الف رودنسون كتابه الشهير الثاني « اسرائيل والرفض العربي » Israeletlerefusarabe (منشورات سوي ١٩٦٨) الذي شرح فيه استحالة تحقيق السلام مع هذا الكيان .

ومايزال الكتاب الصهاينة يشنون حملات شعواء على فكر رودنسون ويحالون بشتى الوسائل « القضاء » عليه فكريا بين الاوساط الثقافية الفرنسية ، خاصة ان رودنسون يحتل مكانة مرموقة في الاكاديمية الفرنسية . يضاف الى ذلك ان الصحف اليومية ، المتعاطفة مع الصهيونية ، تكيل له السباب والشتائم وتحاول التقليل من قيمته الفكرية . يمكن القول انه لم يكن هناك كاتب او مفكر تعرض للهجوم الاعلامي الصهيوني كرودنسون .

فرانسيز كريميو ، لايقل اهمية عن رودنسون في معاداته للصهيونية ، فقد نشر مقالة هامة في المجلة نفسها التي نشر بها رودنسون « النقد الجديد » تحت عنوان « الصهيونية والمسألة اليهودية » في العدد الثالث وقد كشف ابعاد المؤامرة الصهيونية العالمية . لعب كريميو دورا هاما في تعريف الفرنسيين بحقيقة

الصهيونية وخاصة على صفحات مجلة « الحدث » L'Evenement التي كان يرأس تحريرها . كما ساهم في الندوة التي عقدت في الثاني من شباط عام ١٩٧٠ في باريس حول موضوع « فرنسا واسرائيل » في اعطاء صورة حقيقية عما يشاع عن انتشار معاداة السامية في الوطن العربي قائلا :

« ينبغي ان اقول اني خلال زياراتي الحديثة للبلدان العربية لم اواجه ابدا اي نوع من مشاعر العداء للسامية » بيد ان السلاح الوحيد بيد الصهيونية هو اتهام كريميو بالعداء للسامية وهو بريء من هذه التهمة . وبعد انعقاد هذه الندوة ، انبرت له الصهيونية باكاذيبها اذ ادعت في احد الردود عليه « بوجود معسكرات الابادة لليهود في كل من سوريا ومصر . اضافة الى عمليات طرد مايقرب من مليون يهودي من البلدان العربية منذ اكثر من عشرين عاما . » يبدو ان الصهيونية تحاول بسذاجه الرد على كريميو وهي تعرف حق المعرفة من الذي عمل بشتى الوسائل والاساليب ، الترهيب والترغيب ، على تهجير اولئك اليهود ودفعهم الى داخل الكيان الصهيوني لاستخدامهم بالتالي كمجرد وقود لاطماعها الاستعمارية ـ التوسعية . ولعلها تتناسى كل عمليات التفجيرات التي كانت تقوم بها في البلدان العربية ضد اليهود لكي ترهبهم ولاتفتح امامهم سوى نافذة واحدة هي نافذة « الارض الموعودة » . لكن اولئك اليهود حالما شعروا منذ اللحظة التي اطلقوا عليهم « السفارديم » ووضعوهم في قعر السلم الهرمي لمجتمع الشتات والعنصرية . ولم تكتف الصهيونية بذلك ، فقد عقدت مؤتمرا عالميا في ٢٧ كانون الاول عام ١٩٧٠ للرد على كريميو تحت عنوان « اليهود في الشرق الاوسط » Juifs au moyen — Orient في باريس ، وترأسه بوهير . كما جمع المؤتمر مايقرب من ممثلي خمسين بلدا ، اغلبهم من الكتاب والجامعيين والفنانين . وكان هدف المؤتمر جلب انظار العالم الى يهود البلدان العربية .

اما الكاتب ناثان وينستوك Nathan Weinstock فكان يعمل في صفوف حركة « هاشومير هاتز » Hashomer Hatzair اليسارية المتطرفة والمعادية لاسرائيل . ومن ثم

انخراط الكاتب في الحركة التروتسكية ، وعمل في مؤلفاته على ادانة الصهيونية واسرائيل وخاصة في مؤلفه الشهير « الصهيونية ضد اسرائيل » Sionisme contre Israel (منشورات ماسبيرو ١٩٦٩) ويؤكد وينستوك ان اليهود لايشكلون امة وانما مجرد طبقة وعندما تنتهي هذه الطبقة ينتهي اليهود بالشكل المنظم عليه في « اسرائيل » . كما يذهب المؤلف في نظريته الى ان « دولة اسرائيل » دولة برجوازية تختفي عندما يتحالف البروليتاريون ـ العمال ـ الفقراء العرب واليهود . يقول وينستوك : « بماذا تختلف الاقلية الاسرائيلية التي تكون في هذه المنطقة من العالم ظاهرة مختلفة تماما عن الاقليات مثل الاكراد وجنوبيّ السودان بالنسبة للامة العربية ! » والرد الصهيوني على اراء وينستوك هو « ان الدول العربية تقوم بابادة الاقليات الموجودة لديها » كما قامت الصهيونية بالهجوم على كاتب مقدمة الكتاب فيدال نوكيه ، وهو يهودي اخر معاد للصهيونية واسرائيل

اما اريك رولو Eric Rouleau فهو اسم صحفي معروف في الصحافة الفرنسية اذ يعمل في صحيفة « اللوموند » ، ويعتبر واحدا من اكبر مناصري العرب . وهو يهودي من اصل مصري ؛ بدا حياته متعاطفا مع اليسار المصري ابان حكم الملك فاروق وقد طرد ونفي من مصر عام ١٩٥٦ اثناء العدوان الثلاثي على قناة السويس . ومنذ ذلك الحين ، استقر مع عائلته في باريس . اعطاه ادوار سابلييه ، المسؤول عن صحيفة « اللوموند » انذاك فرصة العمل في الصحيفة المذكورة وذلك لموهبته ومعرفته بشؤون الشرق الاوسط . بعد سنوات قليلة ترك سابلييه الصحيفة تاركا مكانه الى اريك رولو . لم يتأثر رولو بجذوره اليهودية ولم يعر لها الاهتمام اللازم بل وطد علاقاته مع العرب . واستطاع ان يحقق نجاحا هائلا في الصحافة الباريسية .

في مارس ١٩٦٦ زار اريك رولو « اسرائيل » وعاد منها لينشر في « اللوموند » سلسلة من المقالات ادان فيها كل الممارسات الصهيونية . ومن ذلك التاريخ حصل الطلاق بينه وبين الكيان الصهيوني .

واشتد الصراع بينه وبين الصهيونية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وخاصة بعد مساهمته في كتاب « اسرائيل والعرب » Israel eh les Arabes .

حاولت الصهيونية ، وباي شكل من الاشكال ، ان تجر الكاتب والصحفي الجريء الى الحديث عن « الاوضاع السيئة » لليهود في مصر ولكن رولو رفض على الدوام ذلك مؤكدا على نوع الرقابة الذاتية في التحدث عن هذه الامور . وذهب الى ابعد من هذا الحد ، مصرحا بارائه وافكاره بشجاعة ، متحدثا بصراحة عن الصراع الاسرائيلي - العربي في برنامج اذاعي في اذاعة « اوربا الاولى » الباريسية . كان من المقرر في البدء ان يتحدث رولو بمفرده عن حيثيات الصراع الا ان الصهيونية المسيطرة جاءت في اللحظات الاخيرة بالصحفي رولاند فور ، الموالي لاسرائيل ، كي يرد على رولو . لقد اقسم رولو للأسرائيليين بخسارتهم على المدى الطويل . عندما اراد ان يرافق جاك فوفييه ، رئيس تحرير « اللوموند » الى « اسرائيل » رفضته السلطات الصهيونية ومنذ ذلك الحين الى عام ١٩٦٧ لم يزر رولو الكيان الصهيوني .

في عام ١٩٧٠ ، يلتقي رولو بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر وينشر تفاصيل ذلك اللقاء الهام على صفحات « اللوموند » مما اثار حفيظة « اسرائيل » اضافة الى البرامج التي بثها من « الاذاعة الفرنسية » O.R.T.F ، بعنوان « بانوراما الشرق الاوسط » ، على اثر ذلك اللقاء التاريخي . ان خدمة رولو للقضية العربية لايمكن ان تقدر بثمن وخاصة على صعيد التاثير في الرأي العام العالمي . .

وفيما يتعلق الصحفية انيا فرنكوس Ania Francos فقد الفت كتابا بعنوان « الفلسطينيون » وقامت بزيارات عديدة لمعسكرات الفلسطنيين في جنوب لبنان . لذا كانت تتعرض على الدوام لهجوم الصهيونية . بينت فرانكوس في مناسبات عديدة أنّ اللوبي الصهيوني يتحكم بكافة وسائل الاعلام الامريكية والاوربية .

امام الكاتب ايما نوييل ليفن Emmanuel Levyne فقد نشر مقالا شهيرا تحت

عنوان « اليهودية ضد الصهيونية » Judaisme contre Sionisme اوضح فيه التناقض الجذري بين معالم الديانة االيهودية ومبادىء الصهيونية التعسفية .

ان مواقف اولئك الكتاب اليهود الشرفاء تكشف كل عمليات التضليل التي يمارسها الاعلام الصهيوني من ناحية كما تكشف عن عدالة القضية الفلسطينية من ناحية اخرى . لكن الاعلام الصهيوني لايتحمل المناقشة والجدل والحوار فهو لايرى غير الولاء « لاسرائيل » بشكل اعمى مهما كانت الحقائق .

لابد من الاشارة ، في نهاية المطاف ، اننا لم نستعرض كافة الكتاب والمفكرين المعادين للصهيونية في هذا الحيز الصغير . ولنا عودة للوقوف عند اهم الكتاب والمفكرين ، كتاباتهم ومواقفهم ، كي نستجلي حقيقة الصراع الدائر بين اليهودية والصهيونية في فرنسا .

ـ ٤ ـ

البحث عن الهوية اليهودية

في السنوات الاخيرة ، ظهرت في الصحافة الفرنسية اصداء انبعاث الذات اليهودية في فرنسا كما تضاعف اصدار الكتب والروايات والمقالات والتحقيقات بهذا الصدد وتبين من خلال هذه الابحاث ان ثلثي الجالية اليهودية الفرنسية تعيش خارج نطاق المنظمات اليهودية . ويتلقى مايقارب الـ ١٠٪ فقط من الشباب اليهود تربية دينية محضة .

ان التجمع الذي حشد اكثر من ١٠٠ الف نسمة في عام ١٩٨٠ والذي اطلق عليه اسم « اثنى عشر ساعة من اجل اسرائيل » Douze Heures Pour Israel ، اصبح من الصعب بعثه واحياؤه من جديد . وجمعت المظاهرات المناصرة لحكومة بيغن مايقل عن الفي نسمة بينما كانت المظاهرات التي قامت بين اعوام ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ تتميز بحجمها الضخم من المتظاهرين . واضح من خلال احداث صيف ١٩٨٢ ان تعلق اليهود الفرنسيين بالكيان الصهيوني مرتبط بصورة اسرائيل في الرأي العام غير اليهودي وكلما ظهرت هذه الصورة بشكل ايجابي، ازداد تعلقهم باسرائيل ،

وتقوت لديهم النزعة المسماة بالهوية اليهودية . ومنذ الانعطاف الذي حصل فيما يتعلق بصورة اسرائيل عن الوسائل الاعلامية ، لوحظ ابتعاد عدد كبير من اليهود في مناصرة الكيان الصهيوني . وهؤلاء ينتمون في غالبيتهم الى فئة المثقفين « الانتلجنسيا » امثال البروفسور مينوفسكي الذي صرح بعد مذابح صبرا وشاتيلا بانه « يشعر بالخجل من كونه يهوديا » . لذا نلاحظ ان تعلق اليهود الفرنسيين بالكيان الصهيوني لايعبر عن تقليد ثقافي راسخ في الوعي الجماعي اليهودي بل انه قابل للتغيير حسب صورة اسرائيل والمتغيرات التي تطرأ عليها في الوسائل السمعية ـ البصرية العالمية .

واذا ما استثنينا كل مايتعلق بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي نلاحظ ان اليهودية فشلت في ان تصبح وسيلة لتجميع اليهود في الشتات . وقد شهدت السبعينات تآلف عاملين اولهما اكتشاف جانب ايجابي في الشخصية اليهودية . وثانيهما محاولة تأكيد الهوية فالعامل الاول مرتبط « بعقدة الذنب » التي اخذت تمس المجتمع الفرنسي منذ الحرب العالمية الثانية . وهذا ادى الى خلق شعور التعاطف مع ضحايا الحرب واسلافهم ، كما لوحظ انعطاف ملموس داخل المجتمع الفرنسي بحيث لم يجعل من اليهود ضحايا حرب ينبغي « استرجاع حقوقهم » فحسب بل « افرادا متميزين » في المجتمع يستحقون العناية والاهتمام اكثر من المواطنين الاخرين !

على اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، شهدت الجالية اليهودية تطورا ملموسا في مواقفها . فقد اصبحوا ينادون علنا بتعلقهم في الكيان الصهيوني كمحور رئيسي لنشاطهم السياسي . وشهدت الحركة الصهيونية من ذلك الوقت ازدياد نفوذها في الاوساط السياسية الفرنسية .

ولم نزل نذكر ردود الفعل العنيفة التي اثارها الجنرال ديغول حين ادان سياسة اسرائيل العدوانية . ومن أثار حرب حزيران وانعكاساتها ، انها ادت الى انفجار حركة استرجاع وتاكيد الهوية اليهودية كعنصر منفصل متميز عن المجتمع

الفرنسي . قبل عام ١٩٦٧ ، لم يكن اليهود يشاركون في ادارة منظماتهم فقد كانوا يهتمون بمصير الكيان الصهيوني بالدرجة الاولى قبل اي اهتمام اخر . ومما دفعهم في هذا الاتجاه الرأي العام الفرنسي ، وردود فعله ، في مناصرة الكيان الصهيوني مما اعطاهم فرصة التعبير عن التضامن الاعمى مع الدويلة الصهيونية وتضاعفت التبرعات لصالحه الى ان وصلت ملايين الفرنكات .

واذا القينا نظرة خاطفة على الصحافة الفرنسية منذ بداية عام ١٩٧٠ حتى ١٩٧٨ ، نلاحظ ان طرح قضية استرجاع الهوية اليهودية ارتبطت على الدوام بنزاع الشرق الاوسط والصراع الصهيوني – العربي . ونذكر ان الجنرال ديغول قد اعلن حظر بيع الاسلحة لاسرائيل في خريف ١٩٦٧ ، وتبعه في هذا السياق كل من الرئيسين الفرنسيين جورج بومبيدو وجيسكار ديستان . واثناء تولي جيسكار ديستان مقاليد الحكم ،وقع طلاق بين الجالية اليهودية والحكومة الفرنسية مما يفسر فيما بعد التصويت الكبير الذي اعلنه اليهود الى الرئيس الحالي فرانسوا ميتران الذي لايخفي تعاطفه مع الكيان الصهيوني هو وحزبه الاشتراكي باعتبار ان اسرائيل تنتمي الى مجموعة النظم الاشتراكية الديمقراطية في العالم الحر ! ومن المعروف ان خلافا واسعا قد وقع بين الجالية اليهودية واليسار الليبرالي الفرنسي . فاليسار الفرنسي كان ومايزال يكن الاعجاب لاشتراكية « الكيبوتز » الاسرائيلية . غير ان وقوع حرب حزيران قد غير نوعا ما في مواقفه تجاه الكيان الصهيوني .. او على الاقل تجاه الحركة الصهيونية . وقد لعب الحزب الشيوعي الفرنسي دورا بارزا في احداث انعطاف هام في الرأي العام اليساري ازاء القضية الفلسطينية مما وجهها في الطريق الصحيح . كما عرفت منظمات سياسية اخرى انشقاقات من جراء حرب حزيران منها ماحصل داخل منظمة « الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا » المعروفة UNEF وتميزت هذه الفترة بالمشاجرات العنيفة بين الطلبة التقدميين المناصرين للقضية الفلسطينية ومنظمة الطلبة اليهود والصهاينة . ومنذ عام ١٩٧٢ ، قرر مسؤولو منظمات الجالية اليهودية ان يعبروا علنا عن غضبهم وعدم رضاهم عن

الحكومات التي اتخذت مواقف حاسمة من الحركة الصهيونية قاطبة . وهكذا على سبيل المثال عبر الكاهن « كابلان» kaplan عن احتجاجه على مقاطعة فرنسا لاسرائيل فيما يتعلق بحظر بيع او شحن الاسلحة اليها . وعقب هذا القرار ، نظمت الاحزاب السياسية من كل اتجاه، تجمعات ضخمة في باريس ومدن اخرى اكدت فيها ان الكيان الصهيوني كان ولم يزل « صديقا وحليفا » . وكان من الملاحظ اختلاف اتجاهات الجالية والحكومة الفرنسية . ومنذ عام ١٩٧٧ ، تبين ان المطالبة بتاكيد هوية معينة متميزة اصطحبها انتاج ثقافي كان رواده : بيرنار هنري ليفي ، اندريه لوكسمان ، إلي فيزيل ، كلود ليفي ، اندريه شفارتز بارت وغيرهم .

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، عملت الحركة الصهيونية جاهدة في تحريك الجالية الهيودية في اتجاه البحث عن الهوية Identite Juive وهذه المسالة لم تخص سوى اقلية من اليهود القاطنين في فرنسا .

ومن الجدير بالذكر ان الجالية اليهودية بمعناها الديني الصرف ، شهدت ازديادا ملحوظا في عدد المنتمين الى الديانة اليهودية منذ عشرين عاما اثر تدفق الهجرات نتيجة لاستقلال المستعمرات الفرنسية ، وعلى الخصوص في شمال افريقيا : الجزائر وتونس والمغرب . وبين اعوام ١٩٥٥ ـ ١٩٦٢ ، ازداد عدد افراد الجالية اليهودية بمقدار ٢٥٠ الفا فعزز من الناحية العددية الجالية اليهودية الفرنسية التي اخذت بالتناقص نتيجة احداث الحرب الثانية . وبالرغم من ان الجالية اليهودية في فرنسا تعتبر اكبر جالية في اوربا الا انها تاتي بالدرجة الثالثة بعد الجالية اليهودية في كل من امريكا والاتحاد السوفيتي . وتتفاوت الاحصائيات في فرنسا لاسباب متعددة فقد اشارت في عام ١٩٧٧ الى ان عدد الجالية بلغ مايقارب الـ ٧٠٠ الف شخص . لكن الحقائق تشير الى ان عدد الجالية اخذ بالتناقص بسبب عملية الاندماج الحاصلة في المجتمع الفرنسي . اما اليهود المتبقون في المغرب وتونس ، فيحتمل ان يختاروا فرنسا كموطن للعيش بسبب

اواصر اللغة وبعض التقاليد الاجتماعية والثقافية الاخرى .

ان عملية البحث عن الهوية اليهودية لاتتم بالشكل الذي رسمته الحركة الصهيونية لان عددا ضخما من «الاسرائيليين» من اصل شمال افريقيا ، يغادرون الكيان الصهيوني ، نتيجة لشعورهم بمظاهر الاضطهاد والتفرقة : ويلتحقون باهاليهم القاطنين في فرنسا . ومنذ عشرة اعوام تعيش الجالية اليهودية على مصادرها البشرية الخاصة . اما الهوية الجديدة التي ينادي بها بعض افراد الجالية اليهودية فتمتلك مميزات خاصة على النطاق الديمغرافي ، اهمها :

النسبة المرتفعة من الزيجات المختلطة اذ ان مايقارب الـ ٥٠٪ منها تتم مع مواطنين من غير اليهود . وتتطور هذه الظاهرة بشكل ملحوظ ممايثير غضب وقلق المسؤولين الدينيين اليهود الذين يرون في ذلك خطرا يهدد توازن ووحدة الجالية اليهودية غير ان الاوضاع تغيرت منذ ربع قرن تقريبا اذ لم تعد الزيجات المختلطة تعبر بالضرورة عن انقطاع الفرد اليهودي عن الجالية الام . وفي اغلب الاحيان يعتنق الزوج غير اليهودي الديانة اليهودية . وقد سببت هذه الظاهرة مشكلات شتى لان نقل اليهودية يتم عن طريق الامومة لكن اغلبية الزيجات المختلطة تعقد بين رجال يهود مع نساء مسيحيات . وترفض السلطات الدينية اليهودية اعتبار الاطفال يهودا مهما كان تعلقهم بديانة الاباء .

ان استرجاع الهوية اليهودية ، كما اشرنا من قبل ، لايعني بالضرورة الانغلاق على انفسهم لانهم يعملون على توطيد علاقاتهم الاجتماعية مع الفرنسيين المسيحيين وتقوية مكانتهم في المجتمع الفرنسي ، للحفاظ على مصالحهم الخاصة . الا ان ظاهرة انخفاض المولودين اليهود في فرنسا واوربا الغربية بدأت في اوائل الستينات وقد ادى ذلك الى ظهور مشكلة شيخوخة السكان سواء في المجتمع اليهودي او المجتمع الفرنسي بشكل عام .

ويمكن القول ، ان الجالية اليهودية الفرنسية ، بموجب تاريخها المتميز ، تختلف في استجاباتها لهذه المشكلات . ولابد من الاشارة الى ان ثلث الجالية

اليهودية الفرنسية ولدت على اعقاب الحرب العالمية الثانيـة . ولم يكن لذلك اثر واضح على يهود شمال افريقيا الذين يشكلون النواة الصلبة للجالية الفرنسية. وبالرغم من ذلك فان عدد الجالية اليهودية قد تضاعف منذ الخمسينات بسبب توافد اليهود من شمال افريقيا وقد ساهمت هذه الموجة من الهجرة بحل مشكلة انخفاض النسل لدى الجالية . ومع هذا التعويض ، ظهرت بداية تلاشي التقاليد وانفجار التركيبات العائلية وارتفاع نسبة الزيجات المختلطة . وبطبيعة الحال ، ادت هذه الاوضاع الى اعتقاد معظم اليهود ان ازدهار الديانة والحياة اليهوديتين لايمكن ان يتم الا داخل الكيان الصهيوني . وهؤلاء يشكلون ثلث الجالية التي تلح على عدم اختلاطها بالجاليات الاخرى والمجتمع المحيط . وغالبيتهم من يهود شمال افريقيا .. وتهدف الجالية الى اعتبار نفسها منعزلة عن المجتمع الفرنسي . ويصح ان نؤكد على انه ليس ثمة بالنسبة للجالية اليهودية نموذج طائفي سوى الكيان الصهيوني الذي جعلوا منه مرجعا اساسيا . اما احتمال عـودتهم الى اوطانهم الاصلية : اوربا الشرقية او بلدان المغرب العربي فيمكن اعتباره مستحيلا . لذا يرون وجودهم في فرنسا حقيقة لاجدال فيها ولا رجوع عنها .

نستخلص اذن ان الجالية اليهودية الفرنسية مكونة من ثلاثة فروع احدها فقط من اصل محلي . ويلاحظ تقاليد متضاربة عند الفرعين الاخرين فيما يتعلق بـالاجيال القـديمة . ويتضـاءل شعور التنـاقض بين الطائفتـين السفـاراديـة والاشكنارية عند الشباب اليهود لان اليهودية الفرنسية تعتبر ملتقى لتيارات فكرية مختلفة .

اما عند الاجيال الجديدة فقد تحولت اليهودية من ثقافة غنية الى تظاهرة تضامن عمياء مع الكيان الصهيوني . ويبدو ان قضية الهوية اليهودية التي تصر عليها الحركـة الصهيونيـة الت الى الفشل الذريـع وخاصـة ان الاحصائيـات والتحقيقات الحديثة تشير الى ان الاغلبية الساحقة من الشباب اليهودي يجهل تماما اللغة العبرية واليديشية وتاريخ اليهود قبل عام ١٩٤٨ اي تاريخ تاسيس

الكيان الصهيوني . ولهذا انعكاسات متعددة على صعيد السلوك والفكر منها تفصيل التاريخ تفصيلا ميكانيكيا ، واهمال كل حادثة لاترتبط بتاسيس الكيان الصهيوني .

وشيئا فشيئا ، بدأ اليهود يتخلون عن الاحزاب التقدمية وينخرطون في احزاب متعصبة معادية لكل فكر انساني نير . ولعل ابرز دليل على ذلك ، تاييد الجالية اليهودية لاعتداءات الكيان الصهيوني على لبنان عام ١٩٨٢ ، بل وتحمست لكل الجرائم التي اقترفتها الصهيونية تحت ستار « السلام في الجليل » .

خاتمة

بعد ان استعرضنا نشوء الحركة الصهيونية وتطورها في فرنسا على مدى اكثر من تسعين عاما (١٨٩٤ ـ ١٩٨٦) لابد لنا من ان نطرح التساؤلات التالية : هل استطاعت الصهيونية ان تحقق اسسها على الواقع الفرنسي ؟ وماهي هذه الاسس ؟

اولا : ان ماذهبت اليه الصهيونية من وجود « الامة اليهودية » في فرنسا ليس له اي اساس من الصحة . فالامة عبارة عن وحدة ثابتة من الناس تكونت نتيجة التطور التاريخي وتتصف بوحدة الحياة الاقتصادية والارض واللغة والتراث الثقافي . ولعلنا نتساءل : ماهي الوحدة القومية التي تجمع بين اليهود الفرنسيين الذين جاؤوا من بولونيا ، ومن الجزائر والمغرب وتونس ، وروسيا ، وحتى الطقوس الدينية والعادات الاجتماعية تختلف اختلافا جذريا بين ابناء الطائفة اليهودية الفرنسية . لايمكن باي شكل من الاشكال ان نجمع الطوائف اليهودية المتنوعة في فرنسا ونطلق عليها اسم « الامة » . ولعل التركيب الاجتماعي والاقتصادي والسيكولوجي والثقافي لكل طائفة يكشف عن الاصول المختلفة التي ينتمي اليها اليهود الفرنسيون . اذن اول دعامة من الدعائم التي نادى بها تيودور هيرتزل لايمكنها ان تصمد امام النقد وهى « ان اليهود يشكلون في كل بلدان

العالم وايا كان البلد الذي يعيشون فيه « امة » واحدة . » .

ثانيا : اذا كانت النظرية الصهيونية تدعوالى « انه لايمكن لليهود ان يندمجوا في نسيج اية امة يعيشون فيها .» لذا ينبغي « انشاء دولة يهودية يتجمع فيها كل يهود العالم » فاذا زعم مؤسسو الصهيونية ان لاسبيل الى حل المسالة اليهودية غير تركيز وتجميع اليهود في دولة يهودية ، فلماذا ماتزال هناك طوائف يهودية في العالم وخاصة الطائفة اليهودية الفرنسية التي بلغ عددها مايقرب ستمائة الف نسمة ؟! لماذا لم يهاجر كافة يهود العالم الى « اسرائيل » ولماذا عاد عدد كبير من المهاجرين اليهود من « اسرائيل » الى اوطانهم الاصلية ؟! واصبح عدد من يهجرونها اكبر من عدد من يجيء للبقاء فيها .

ثالثا : تركز الصهيونية على ان اليهود في كل مكان وزمان هدف للاضطهادات . فالعداء للسامية خالد . سرمدي يستمد اسسه من ان « كل شعب يكره الشعوب الاخرى ولكن جميع الشعوب تكره اليهود على الاخص » اليس هذا تحليلا عنصريا تعسفيا للحضارة وللتاريخ ؟! ان الصهيونية ومعاداة السامية تصبان في نهر واحد . والصهيونية تتغذى من فكرة معاداة السامية.. وقد اشار هيرتزل في كتابه الشهير « الدولة اليهودية » « الى ان العداء للسامية سيزول منذ البدء بتحقيق فكرة انشاء الدولة اليهودية » ولابد لنا ان نتساءل هل زال العداء للسامية بنشوء الكيان الصهيوني ؟! هل يمكننا ان نقول ان فكرة العداء للسامية قد تلاشت من قاموس الحياة الفرنسية ؟! الصهيونية بحاجة الى اللاسامية وذلك لتنفيذ مآربها .. والانفجارات التي وقعت في باريس مؤخرا في كل من كوبرنيك وشارع روزيير في باريس لخير دليل على ذلك .

رابعا : يحاول دعاة الصهيونية في فرنسا ربط وتماثل ثلاثة مفاهيم - « اليهودي - اسرائيل - الصهيونية » في بوتقة واحدة . واجراء التماثل بين اليهودي والصهيوني ، اعداء الصهاينة واعداء السامية ، وهكذا والهدف النهائي من ذلك هو خنق كل نقد لنظرية وممارسة الصهيونية . كما تستغل الدعاية

الصهيونية هذا التماثل لكي تطالب كل يهودي يعيش في بلد راسمالي ، خارج « اسرائيل » ، بتبني سياسة « اسرائيل » الرسمية والنظرية الصهيونية . تحاول الصهيونية ان تعتبر هذه النظرية هي المعبرة الوحيدة عن اليهود بينما تعتبر الصهيونية احد التيارات القائمة في الطوائف اليهودية .. يضاف الى ذلك انها التيار الاكثر رجعية وعنصرية وتعصبا . وليس بالضرورة ان يقدم اليهودي الفرنسي ولاءه « لاسرائيل » .. فهو مواطن بلد اخر وله واجباته والتزاماته .

من خلال العناصر الاربعة التي اعتمدت عليها الصهيونية في فرنسا وفي العالم اجمع نلاحظ ان مشروعها الاستيطاني لم ينجح كمشاريعها الاخرى في جلب كافة يهود العالم الى اسرائيل .. والحقائق الماثلة تفند كل المزاعم الصهيونية . فاليهود حسب الاحصائيات العالمية في اسرائيل لايمثلون سوى ١٨٪ من يهود العالم . إن الجاليات اليهودية بامكانها ان تعيش حياة طبيعية دون تدخلات الصهيونية التي تريد على الدوام ان تجعل من اليهود حالة استثنائية ، قائمة على التوتر بحيث اضطر عدد كبير من اليهود الفرنسيين تحت الضغوط الصهيونية الى تغيير اسمائهم ودينهم .

ان الجالية اليهودية التي تحاول الصهيونية استغلالها في القيام بتكوين مؤسسات ومنظمات وهيئات منعزلة عن المجتمع الفرنسي لهو خطر كبير على اليهود انفسهم واذا ارادت الصهيونية ان تستغل المشاعر الدينية عند اليهود الفرنسيين ، يقابل ذلك الدين الاسلامي الذي يعتبر ثاني دين بعد المسيحية في فرنسا . كما ان العرب والمسلمين يعدون بالملايين . فلماذا لايعتبر اولئك انفسهم حالة استثنائية كاليهود ؟! ان للوبي الصهيوني في فرنسا جذورا عميقة وهو يتشكل ويتبلور يوما بعد يوم ، ويخرج من حالته المتخفية الى حالة العلن ويعمل لاغراض بعيدة المدى .. نأمل اننا القينا بعض الضوء على حركة واسعة ومتنامية كالحركة الصهيونية في فرنسا .



فهرس باسماء التنظيمات والتجمعات الصهيونية في فرنسا

أ ـ المنظمات الصهيونية السياسية

- C.R.I.F. Conseil Représentatif des Israelites en France
- Renouveau Juif
- Les Fils de l' Alliance
- Congres Juif Mondail
- Mouvement Sioniste de France
- Hérouth
- Avoda
- Association des Etudiants israeliens en France
- Cercle Bernard Lazare
- Alliance France-Israel
- Les Amis de Shalom Akhshav
- Hashomer Hatsair
- Mizrahi
-Agouth Israel
- MAF. Mouvement de l'alyah de France
- Dror
- Agence Juive pour Israel
- Ihoud Habonim
- Union des Etudiants Juifs de France
- W.I.Z.O Organisation Internationale des Fmmes Sionistes
- Conseil National pour la protection des Droits des Juifs d' U.R.S.S.
- Comite Feminin de Soutien aux Juifs d' U.R.S.S.

ب ـ المنظمات الصهيونية : الدينية والثقافية والاجتماعية

- Con sistoire
- Association consistoriale Israetite de Paris
- Conseil Représentatif du Judaisme traditionnalist de France
- Union liberale Israelite
- Hassidim
- Tsaddikim
- Le Fonds Social Juif Unifie
- Appel Unifié pour Israel
- Appel Unifie pour Israél
- Appel Unifie Juif de France
- Centre Rashi de Paris
- Dejj
- Eclaireurs de France
- Centre Universitaire d'Etudes juives
- Institut International d'Etudes hébraiques
- Bibliothèque de l' Alliance Israélite Universelle
- Bibliotheque Medem
- Centre de Documentation Juive
- Albin Michel
- Presse Universitaire de France - P.U.F.

ج ـ الصحف والمجلات الصهيونية الصادرة في باريس

- Unzer Wort
- Naie Presse
- Agence télegraphique juive

- Information Juive
- Journal des communautes
- Kadimah
- L'Arche
- Les moureau Cahiers
- La Terre Retrouvee

د ـ الاذاعات الحرة :

- Radio J.
- Judaiques F.M.
- Radio Communaute
- Radio Shalom



مسلسل الاحداث التاريخية الهامة

(تاريخ اليهود الفرنسيين منذ الثورة الفرنسية)

١٧٩١	حصول كافة اليهود الفرنسيين على الجنسية الفرنسية .
١٧٩٣	صعود موجة معاداة السامية في شرق فرنسا .
١٧٩٧	قيام الشكوى ضد ربا اليهود .
١٨٠٥	صعود موجة جديدة من معاداة السامية في منطقة الالزاز .
١٨٦٠	تأسيس رابطة اليهود العالمية .
١٨٦٢	ارتباط مجاميع الكهنة الثلاثة .
١٨٧٠	هجرة ١٥ الف يهودي من الالزاز الى داخل الاراضي الفرنسية . وفي ٤ ايلول من نفس السنة تم صدور قانون كريميو القاضي باعطاء الجنسية الفرنسية لليهود الجزائريين .
١٨٨٠	تأسيس شركة الدراسات اليهودية .
١٨٩٠	اصدار مجلة « فرنسا اليهودية » .
١٨٩٣	اصدار مجلة « الكلمة الحرة » .
١٨٩٥	قيام تظاهرات معادية للسامية اثناء مراسيم تنحية دريفوس من رتبته العسكرية .
١٨٩٧	قيام تظاهرات ضد اليهود في الجزائر .
١٨٩٨-١٨٩٩	قيام تظاهرات معادية للسامية في باريس والمدن الفرنسية الاخرى .
١٩٠٥	هجرة يهود النمسا ورومانيا الى فرنسا وبدء هجرة الفنانين اليهود الى مدرسة باريس الفنية .
١٩٠٨	هجرة يهود اليونان وتركيا وبلغاريا لفرنسا .
١٩١٩	هجرة جديدة ليهود روسيا ورومانيا واليونان وتركيا الى فرنسا .
١٩٢٨	فضيحة « هانو »

١٩٣٠	فضيحة « اوستريك » .
١٩٣٣	قضية ستافسكي وبداية هجرة اليهود الالمان ، وانتشار موجة العداء للسامية في الصحافة .
١٩٣٨	وصول اللاجئين الالمان والنمساويين والبولونيين الى فرنسا .
١٩٣٩	اعتقال اللاجئين اليهود الالمان والنمساويين .
١٩٤٠	اجراءات عديدة ضد يهود فرنسا بصدد ولاء حكومة فيشي الى الحكومة النازية .
١٩٤٣	اعتقال اليهود الهنغاريين الى فرنسا .
١٩٤٤	اغتيال شخصيات يهودية معروفة مثل فكتور باك ، جان رنيه ، ومانديل .
١٩٤٦	تأسيس رابطة الصداقة اليهودية ـ المسيحية .
١٩٤٨	رحيل باخرة « الاكسوديسر » الشهيرة .
١٩٤٩	تاسيس الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد .
١٩٥٣	قضية « فينلي » .
١٩٥٦	بداية هجرة يهود شمال افريقيا الى فرنسا ووصول يهود مصر
١٩٦٢	هجرة يهود الجزائر .
١٩٦٧	تاسيس النداء اليهودي الموحد
١٩٦٨	رحيل ٥٥٠٠ يهودي فرنسي الى اسرائيل



فهرس الكتاب



ببلوغرافيا :
مصادر دراسة الصهيونية
في فرنسا

- SARTREJean-Paul: Reflexions sur la question juive (1946), Gallimard, Collection Idées 1962

- SCHNAPPER D.: Juifs et israelites, Idees Gallimard, 1890

- SORLIN Pierre: La Croix et les Juifs, Grasset 1967

- SEGUEV Samuel: Israel, les Arabes et les grandes puissance, 1963-19 Paris Calmann Levy, 1968

TRIGANO SH: La nouvelle question juive, Idees Gallimard, 1979

- TCHERNOVITZ J: Juifs en guerre, Paris, Ed. de la terre retrouvee, 1947

- VIDAL Naque Pierre: Les Juifs, la memoire et le present, P.C.M 1981

- WEINBERO H: Les Juifs de Paris de 1933 a 1939, Calmann - Levy, 1974

- WIESEL Elie: Etre Juif, c'est quoi? Figaro Litteraire, 10-16 FEV 197

MARRUS M et PAXTON R: Vichy et les Juifs, Col. Diaspora, Calmann Levy 1981

MEMMI Albert: Portrait d"un juif, Gallimard 1966.

MALRAUX Andre: Les antimemoires, Gallimard, 1967

NEHER Andre: L'existence juice, Le Seuil 1962

PHILLIPPE B.: Entre juif dans le societe francaise, Ed. Montable 1979

POLIAKOV L: Histoire de l'antisemitisme, 4 volumes, collection liberary de l'esprit, Calmann Levy, 1955-1979

PRESSES Albert: L'image du juif dans la litterature romantique francaise, Diplome d'etudes superieures, Sorbonne 1965

PEYREFITTE Roger: Les juifs, Flammarion, 1965

RODINSON Maxime: Peuple juif ou probleme juif? Petite collection Maspero, 1981

RABI Vladimir; Anatomie du judaisme francais, Ed. Minuit, 1962

RENAN Ernest: Le judaisme comme race et religion, conference au cercle Saint Simon, 27-1-1883.

ROSNY AINE J. H: La juive, roman des moeurs israelites contemporaines P. Allendorf, 1907

ROSNY AINE Jeune J. H: La juive chretienne, n 58, les Maitres du roman Editions de la nouvelle revue critique, 1931.

RABINOVITCH Wladimir, Andre Gide est-il un antisemite qui s'ignore? Tribuen Juive, 11-2-1940

Randall EARL Stanley: The Jewish character in the French Novel (1870-19) These, Menascha, Xisconsin, 1941.

RINER Alexandre; Le probleme juif au miroir du roman francais de l'entre deuxguerres, these de doctorat presentee a la faculte des lettres et sciences de Strasbourg, 1968?

-ESPTEIN Simon: L'antisemistisme francais aujourd'hui et demain Ed Pierre Belfond, Paris 1933

-FLEG Edmon; Pourquoi je suis juif? Editions de France 1938.

-GIRARD P: Les juifs de France de 1789 a 1860, de l'emancipation a l'egalite. Collection Diaspora, Calmann - Levy 1976.

-GIRARD Pierre: Les Juifs de France, Editions Bruno HaismanParis 1983

-HARRIS et SEDOUY: Juifs et Francais Le Seuil 1979

-HERMONE jacques: La gache, Israel et les Juifs Ed La Table Ronde Paris 1970

-KORCAZ S: Les Juifs de France et l'etate d'Israel, Denoel 1969

-KRIEGEL Annie: Les Juifs et le monde moderne, Le Seuil, 1977

-KAPLAN Jacob: Judaisme francais et sionisme, Albin Michel, 1976

-KORCAZ Sylvie: Les Juifs de France et l'Etat d'Israel, Denoel, 1969

-LAZAR David: L'opinion francaise face a l'avenement de l'Etat d'Israel. These Doctorat de recherche. Fondation nationale de Sciences politiques, Octbre 1970 Paris.

-LEON A: La conception materialiste de la question juive, Paris 1946 Ed. Revue et presentee par M. Rodinson, 1968

-Lehrmann Claude: L'element juif dans la litterature francaise I. Des origines a la revolution, Albin Michel 1960.

II. de la revolution a nos jours, Albin Michel 1961

-LEVITTE Georges: A changing community in aspects of French Jewry, Valentine Mitchell London, 1969

-LOEWENSTEIN Rodolphe: Psychanalyse de l'antisemitisme, P.U.F. 1952

-MARRUS: Les Juifs de France a l'epoque de l'affaire Dreyfus, Preface de Pierre Vidal-Naquet, Col. Diaspora Calmann Levyl 196

- AREMDT Hannah: Eichman a Jerusalem. Gallimard, 1966

- ARON Raymond: De Gaulle, Israel et les Juifs, Plon 1968

- AUBDRY Pierre: Milieux Juifs de la France contemporaine, Plon, 1968

- ARCHE: Enquete: "Le Juif est-il une personnage de roman, Decembre 1956

- AMILCAR Alencastre: .Le sionisme et le Tiers-Monde, S.N.E.D, Alger 1972

- ABITBOL Michel: Les juifs d'Afrque du Nord sous Vichy

- AVINERI Shlomo : Histoire de la pensee sioniste, Editions J.C. Lattes Paris, 1982

- BENSIMON D: Socio-demographie des Juifs de France et d'algerie sous la direction de B Blumencranz et de CL. Fahlen, sous presse aux editions Privat, Toulouse

- LUMENKRANZ B. et SOBOUL A. Les Juifs et la revolution francaise Toulouse 1976

- BOURDREL PHilippe: Histoire des Juifs de France, Ed. Albin Michel Paris, 1974

- CLADEL Leon: Le Juif errant, P. Ollendorf, 1897

- COHEN Samy : De Gaulle, les gualistes et Israel, ED. Alain Moreau Paris 1974

- CLEMENT Claude: Israel et la Ve republique, Ed. Olivier Orban, Paris 1978

- COLLOQUE: Israel, le judaisme et l'Europe - Donnees et Debats - Colloque des intellectuels Juifs de langue francaise. Gallimard, Paris 1984

- DRUMONT Edouard: La France Juive (1886) Flammarion, 1938

- DOUBNOV S. M.: Histoire moderne du peuple juif, 1920, 2 vol, Paris 1933



طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com